كلية اللغة العربية بأسيوط
المجلة العلميـة

الأُصُولُ الكُلِّيَّةُ لأغْرَاضِ القَاعِدةِ البَلاغيَّةِ بَينَ تُراثِ أَهْلِ العِلْمِ والبَيَانِ العَالِي (التعريفُ بالإشارةِ أنموذجًا)

إعداد

د/ عَلِى مَحْمود عبَّاس مُوسَى

مُدرس بقسم البلاغة والنقد
بكلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين في قنا

(العدد الرابع والثلاثون – الجزء الثالث ٢٠١٥م)

بسم الله الرحمن الرحيم

مُقَدِّمَة

الحمد لله ربّ العالمين ،والصَّلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمَّد وعلى آله وصحبه ومَن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين ، وبعد :

فمِمَّا لا شكَّ فيه أنَّ الدِّراسات التي اعتنت بالأُصُول الكليَّة قد غابت عن حقل الدِّراسات البلاغية ،بل هي في الحقيقة لم تكن أبدًا حاضرة على السَّاحة البلاغية منذ زمن بعيد ،ولا نكير لأحد في ذلك ،رغم ما في هذا الباب من غزير علم ،وكبير فائدة ، فهي دراسات صارت أثرا بعد عين تحتاج من طلاب هذا العلم الشريف القدر إلى مَن يبعث فيها الحياة والحسّ من جديد ،رغم تباعد الأزمان ولذا فإنني فيما قصدتُه أحسب أنني أعتسفُ الفلاة بغير دليل ، اللهمَّ إلا ما أشار به الإمام عبد القاهر الجرجاني في باب التقديم ،علني بتوفيق ربِّي ،الذي استوكفتُه بره ،ونزعتُ إليه برجائي ،أن أشارك بما هو في ميسوري في دفع عجلة البحث البلاغي خطوة إلى الأمام ،وأن أخطو قدم صدق نحو رفع رايته ،وأن أحاول فتح هذا الباب الموصد بهمَّة طالب العلم الراجي رضا ربه وتوفيقه .

وإذا كانت أغراض القواعد البلاغية قد تشعبت وتناثرت في بطون الكتب ،أفلا نستنهض الهمم ؟ ونوقظ هذه العزائم الفاترة التي استَوطَأت مِهَاد الخُمُول لنحاول قدر ما أفاء الله به علينا أن نرد هذه الأغراض إلى أصولها الكلية ،ومن هنا كانت هذه الدراسة المتواضعة : (الأصول الكلية لأغراض القاعدة البلاغية بين تراث أهل العلم والبيان العالي . التعريف بالإشارة نموذجا) سبيلا لي ،منطلقة من التعريف بالإشارة كأحد أبواب البلاغة العربية ،وأحد مباحث علم المعاني ،حيث له أغراض متنوعة تجدها في كتب القوم أينما يمَّمت ناظريك .

هذا ،وقد استقام البحث في أربعة فصول ،تسبقها مقدمة ، مهيد ، وتعقبها خاتمة .

أمَّا المقدمة فاشتملت على أهمية البحث في هذا الموضوع ،ومنهج البحث وخطته .

وأمَّا التمهيد ففيه مبحثان :

المبحث الأول : محاولة التأصيل لأهمية معرفة الأصول الكلية للجزئيات بوجه عام .

المبحث الثاني : محاولة التأصيل لأهمية إدراك الأصول الكلية لأغراض القواعد البلاغية خاصة .

أما الفصل الأول فقد جاء بعنوان : التعريف باسم الإشارة وإفادة الاستحضار : (تأصيل وقراءة في كتب أهل العلم)

وأمَّا الفصل الثاني فقد جاء بعنوان : التعريف باسم الإشارة وإفادة الاستحضار . راسة تطبيقية لأمثلة من البيان العالي .

وأما الفصل الثالث فقد جاء بعنوان : جريان استحضار المشار إليه على مقتضى الأصل وفق نماذج من البيان العالي ،

وفي هذا الفصل يجري التطبيق على إمكان وقوع الاستحضار على سبيل الحقيقة .

وأما الفصل الرابع فقد جاء بعنوان : جريان استحضار المشار إليه على خلاف مقتضى الأصل ،وفق نماذج من البيان العالي .

وفي هذا الفصل يجري التطبيق على عدة شواهد يكون الاستحضار فيها خارجا على سبيل الادِّعاء والتنزيل منزلة الحقيقة ، وأمَّا الخاتمة ففيها أذكر أبرز النتائج التي وقفتْ عليها الدراسة .

هذا ، وقد استقام منهج البحث على النحو التالي :

أولاً : محاولة التأصيل العلمي الصحيح لأهمية الدراسة في هذا الباب .

ثانيـًا : محاولة التأصيل العلمي الصحيح لكون الاستحضار هو الأصل الكلي للتعريف باسم الإشارة من خلال كتب التراث .

ثالثًا : انتخاب بعض الأمثلة من البيان العالي نثرا كانت أو شعرا للتطبيق من خلال المنهج التحليلي الذي اعتمدتْ عليه الدراسة بعد تحقيق مواضع الدِّراسة من مظانِّها .

رابعًا : محاولة إبراز بلاغة الاستحضار ، وذلك عند تحليل بعض نماذج من البيان العالي يكون استحضار المشار إليه حقيقيا على مقتضى الأصل .

خامسًا : تحليل بعض نماذج من البيان العالي يكون استحضار المشار إليه ادعائيا على خلاف مقتضى الأصل بعد إبراز بلاغة الاستحضار .

سادسًا : محاولة إدراك التناسب بين الاستحضار وأغراض التعريف بالإشارة وكيف صار التلاقي بينهما .

هذا ،وأحسب أنَّ هذه الدراسة سوف تفتح الباب أمام المشتغلين بعشق في هذا العلم الشريف القدر محاولة لجمع شتات أغراض القواعد البلاغية في أصول كلية ،والله وحده الهادي إلى سواء السبيل .

هذا ،والحمدلله ربِّ العالمين ،وصلَّى الله وسلَّم على سيدنا محمّد وعلى آله وصحبه أجمعين .

التمهيد

ويشتمل على أمرين :

الأول منهما : في التأصيل لأهمية معرفة الأصول الكلية للجزئيات :

يحسُن بالباحث ابتداء القول بأنَّ دراسة الأصول الكلية للقواعد بصفة عامَّة بلاغية كانت ،أو فقهية ،أوغيرهما ،من الأهمية بمكان لطالب العلم ؛ذلك لأنَّها تقف به على الجذر الذي نبت به وعليه الفرع ،ومِن هنا يقف الناهل للعلوم على فوائد جمَّة أهمها في نظر الباحث : معرفة مناسبة الأصل مع الغرض والقاعدة الجزئية ،وكيف نشأ التلاقي بينهما ؟ مع ما في معرفة أُصول القواعد من التيسير على طلبة العلم في جمع أشتات الجزئيات المتناثرة في أصول وقوالب عامة كلية ،ولا سيَّما وقد كثرت التفريعات في بطون الكتب .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ (ت ٧٢٨ هـ) : " لا بدَّ أن يكون مع الإنسان أصول كلية ترد إليها الجزئيات ليتكلم بعلم وعدل ،ثم يعرف الجزئيات كيف وقعت وإلا فيبقى في كذب وجهل في الجزئيات ،وجهل وظلم في الكليات ؛فيتولَّد فساد عظيم " (١)

وقال الزركشي ـ رحمه الله ـ (ت ٧٩٤ هـ) في مقدمة كتابه المنثور في القواعد : " فَإِنَّ ضَبْطَ الْأُمُورِ الْمُنْتَشِرَةِ الْمُتَعَدِّدَةِ فِي الْقَوَانِينِ الْمُتَّحِدَةِ هُوَ أَوْعَى لِحِفْظِهَا وَأَدْعَى لِضَبْطِهَا وَهِي إحْدَى حِكَمِ الْعَدَدِ التي وُضِعَ لِأَجْلِهَا ، وَالْحَكِيمُ إذَا أَرَادَ

(١) مجموع الفتاوى لابن تيمية ـ تح : عبد الرحمن بن محمد النجدي ـ ١٩ / ٢٠٣ ـ ط : مكتبة ابن تيمية ـ ط : ثانية ـ د ت .

التَّعْلِيمَ لَا بُدَّ لَهُ أَنْ يَجْمَعَ بَيْنَ بَيَانَيْنِ : إجْمَالِي تَتَشَوَّفُ إلَيْهِ النَّفْسُ ، وَتَفْصِيلِي تَسْكُنُ إلَيْهِ " (١)

وقال السعدي ـ رحمه الله ـ (ت ١٣٧٦ هـ) : " ومعلوم أنَّ الأصول والقواعد للعلوم بمنزلة الأساس للبنيان، والأصول للأشجار، لا ثبات لها إلا بها، والأصول تبنى عليها الفروع، والفروع تثبت وتتقوَّى بالأصول ،وبالقواعد والأصول يثبت العلم ويقوى، وينمى نماء مطرداً، وبها تعرف مآخذ الأصول ،وبها يحصل الفُرقان بين المسائل التي تشتبه كثيراً ،كما أنَّها تجمع النظائر والأشباه التي من جمال العلم جمعُها ،ولها مِن الفوائد الكثيرة غير ما ذكرناه " (٢)

كانت هذه لمحات موجزة مِن كلام أهل العلم الذين أدركوا ما لمعرفة الأصول الكلية من أهمية عظيمة في درس العلوم والفنون ،وقف عندها الباحث وقد رغب في التأصيل لأهمية إدراك الأصول الكلية للقواعد الجزئية في شتَّى العلوم .

ثمَّ إنَّه إذا كانتِ " المعرفة إدراك الجزئيات ، والعلم إدراك الكليات " (٣) **فإنَّ معرفة الجزئيات لا تغني عن علم الكليات بحال مِن الأحوال ،فما دامت الجزئيات في كتب أهل العلم مبسوطة وقد أخذت حظا وافرا من عنايتهم ،فيجب علينا أيضا أنَّ**

---

(١) المنثور في القواعد ـ تأليف : أبو عبد الله محمد بن بهادر الزركشي ـ تح : د : تيسير فائق أحمد محمود ـ ١ / ٦٦ ـ ط : وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية – الكويت ـ ط : ثانية ـ ١٤٠٥ هـ. .

(٢) طريق الوصول إلى العلم المأمول بمعرفة القواعد والضوابط والأصول ـ مختارات من كتب شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه العلامة ابن القيم ـ جمع : عبد الرحمن بن ناصر السعدي ـ ص ٥ ، ٦ ـ ط : دار البصيرة ـ الإسكندرية ـ د ت .

(٣) التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب للرازي ـ ٢ / ١٨٨ ـ ط : دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ ط : أولى ـ ١٤٢١ هـ ـ ٢٠٠٠ م .

نوجه عنايتنا كذلك لدراسة الكليات حتى نسُدَّ الفراغ القائم في مثل هذه الدراسات التي هي بلا شك جديرة بالعناية وطول النظر .

ثانياً : محاولة التأصيل لأهمية إدراك الأصول الكلية لأغراض القواعد البلاغية خاصة .

لقد فتح شيخ البلاغيين الإمام عبد القاهر الجرجاني ـ رحمه الله ـ باب درس الأصول الكلية لأغراض القواعد البلاغية ـ وهو باب لا يزال مُوصَدا ،يسَّر الله لكل مَن أراد طرقه ـ حين ذكر أنَّ أغراض التقديم ترجع إلى أصل واحد هو العناية والاهتمام ،فقال : " واعلم أنَّا لم نجدهم اعتمدوا فيه شيئًا يجري مجرى الأصل غير العناية والاهتمام " [١]

ثمَّ إنَّ الإمام عبد القاهر قد عاب مَن يرمي بالأصل الكلي جملة فحسب ،فتراه يقول :" وقد وقع في ظنون الناس أنه يكفي أن يقال إنه قدم للعناية ولأنَّ ذكره أهمّ ،من غير أن يذكر من أين كانت تلك العناية ،ولم كان أهمّ " [٢]

وإذا كان ابن جنّي ـ رحمه الله ـ هو صاحب القول بـ " أنَّه ليس شئ يَخرج عن بابه إلى غيره ، إلا لأمر قد كان وهو على بابه ملاحظا له ،وعلى صَدَد من الهجوم عليه ... وكلّ حرف فيما بعد يأتيك قد أُخرج عن بابه إلى باب آخر ، فلا بُدَّ أن يكون قبل إخراجه إليه قد كان يرائيه ، ويلتفت إلى الشقّ الذي هو فيه ، فاعرف ذلك ، وقسه " [٣] فإذا كان بين الشيء وما خرج عنه لُحْمة فأقرب منه أن تكون

---

(١) دلائل الإعجاز في علم المعاني للإمام عبد القاهر الجرجاني ـ تعليق : محمد رشيد رضا ـ ص ٨٦ ـ ط : المكتبة التوفيقية ـ القاهرة .

(٢) دلائل الإعجاز ص ٨٧

(٣) الخصائص لابن جني ـ تح : محمد علي النجار ـ ٢ / ٤٦٤ ، ٤٦٥ ـ ط : عالم الكتب ـ بيروت ـ دت .

بين الأصل وفرعه علاقة ، بأن يشتمل الفرع على معنى الأصل ، ولم لا وقد تناسل منه ؟!

فالحقيقة : أنَّ هذا الباب جليل ،يجدر بأولي العلم أنْ يصرفوا همَّتهم إليه ،وأن يحولوا عنايتهم إليه ،ولاسيَّما إذا أنزلت الدِّراسة كلام الشيوخ الأوائل على بيان ربّ العالمين ؛لأنَّه باب يجمع بين شتات أغراض القاعدة البلاغية في أصل كلي واحد ،وعندئذٍ يبدو للناظر تشابُك الأغراض التي قال عنها أهل العلم ،ويبين لنا أنَّ أسلافنا ـ رحمهم الله ـ لم يرموا بالأغراض حين عدَّدوها عبثًا ،ومن هنا يجب الوقوف مليا على تراث سلفنا ،وتقليب كلامهم ظهرا لبطن ،وسبر أغواره حتَّى ننفذ إلى ما وراء الكلمات ،ونقرأ ما بين السطور ،فربّ كلمة قالوها كشفت لنا عن خبيئ مدفون ،فبعض مقالة العلماء تحتاج إلى من يكشف عنها ما علاها وينفض عنها ما سترها ؛إذ إنَّ بعض مقالهم ـ كما قال عبد القاهر ـ يجري " كالرَّمز والإيماء والإشارةِ في خَفَاء وبعضَه كالتنَّبيه على مكانِ الخبيء ليُطلبَ ومَوضعِ الدَّفينِ لُيبحثَ عنه فُيخرجُ .. " [1] فقد تبقى الفِكرة في الكُتُب صامتة خرساء ، وتبقى على ذلك حتَّى تُلامِس عقلا حيًّا ... فيستخرج مِنها أزكى ما يُستخرَج وأنبله [2]

فدرس هذا الباب يجب أن تتكاتف حوله بعض جهود الباحثين مِن أبناء هذه الأمَّة ليكملوا مسيرة جدهم ـ رحمه الله ـ الذي وضع لهم اللبنات الأولى لبناء صروح لغتهم ، وما ذلك كله إلا لهدف أسمى هو أن تكون هذه الدِّراسات كاشفة بوضوح عن المنبع الأصل حتَّى يكون بين أيدينا أصول بلاغية يرجع إليها دارسو علم

(١) دلائل الإعجاز للجرجاني ص ٤٢

(٢) ينظر : القوس العذراء وقراءة التراث د محمد أبو موسى ص ٥٣ ـ ط : مكتبة وهبة ـ ط : أولى ـ ١٤٠٣ هـ ـ ١٩٨٣ م .

البيان حين تختلط أمامهم فروع القواعد البلاغية ،أو حين يغيب عن عقولهم إدراك الأسس الذي نبتت عليها فروع قواعد هذه اللغة التي حفظت بكلام رب العالمين .

الحقيقة أنَّه "من أهم ما يجب أن يلتفت إليه الباحث في تاريخ الفن البلاغي هو أنَّنا قد نجد لفتة زكية في كلام واحد من العلماء القدماء ،أهملها من جاؤوا بعده ؛لأنَّهم كانوا متَّجهين إلى غاية في بحثهم لا تدخل فيها هذه اللفتة فتظل أمرا نفيسا مَنسيًّا ،يمكن أن يستثمر ويفتح بابا جديدا من أبواب هذا الفن ويكون رافدا جانبيا أصيلا من روافد هذا العلم " (١)

فلتكن الأجيال على اختلاف دوران عجلة الزمن كالتروس يسلم كلّ جيل وقد اجتهد وبذل ما في وسعه ،غاية ما وصل إليه إلى الجيل الذي يليه ،حتَّى تنمو العلوم ،وتتطور الفنون بشكل منتظم ،مؤدية الرسالة ،والهدف المنشود ،وعندئذٍ تكون الأجيال على تعاقبها قد استطاعت أن تؤدي دورها ،وتبلغ رسالتها ،في دفع عجلة البحث البلاغي إلى الأمام ،على أن يبني كلّ جيل على تراث أسلافه مستفيدا مما كتبوه وتركوه ،ومن دون ذلك ينقطع الخلف عن السلف وتقف العلوم مكانها ويتخلف أصحابها عن الرَّكب ،وهذا ما لا يرجوه مُحبّ فكلّ العلوم على اختلاف شأنها تنشأ بسيطة فتنمو وقد أضاف اللاحق لما بدأه السابق شيئا .

فهنيئا لمن وضع لبنة استقام عليها بنيان البلاغة ، هو . إن شاء الله . سيكون غدا في دار السلام من السعداء أصحاب المغنم العظيم ،والمنزل الكريم .

الفصل الأول

التعريف باسم الإشارة وإفادة الاستحضار

(١) مراجعات في أصول الدرس البلاغي د محمد محمد أبو موسى ص ٨ . ط : مكتبة وهبة . ط : أولى . ١٤٢٦ هـ . ٢٠٠٥ م .

(تأصيل وقراءة في كتب أهل العلم)

آثرنا أن يكون التعريف بالإشارة أنموذجا للدراسة لغفلتنا الطويلة عن النظر والتفتيش في كثير من أبواب علم المعاني ،وذلك على الرغم من أنه باب جليل ينطوي على فوائد عديدة تجدنا وقد أطلنا الوقوف عند أبواب بعينها كالإنشاء وصوره ومعانيه المجازية وكالإيجاز والإطناب ،وكالفصل والوصل ،إلى غير ذلك من أبواب علم المعاني ،وتركنا . وأظنُّ عن تناسٍ حينًا ، وعن جهل بمواقعها حينًا آخر . أبوابًا أُخرى حتَّى كادت أن تنسى مع أبواب أخرى في علوم البلاغة الثلاثة .

فقد تنبَّه الزجاج . رحمه الله . (ت ٣١١ هـ) إلى أنَّ المقصود من الإشارة استحضار الحال الماضية حين وقف عند قوله تعالى : ﴿ ﴾ [1] يقول : " هذا موضع فيه لُطف ،وذلك أنَّه قيل في الغائب (هذا) والمعنى وجد فيها رجلين أحدهما من شيعته وأحدهما من

(١) سورة القصص : آية ١٥

عدوه ، وقيل فيهما هذا وهذا على جهة الحكاية للحضرة ،والمعنى أنه إذا نظر إليهما الناظر قال : هذا من شيعته وهذا من عدوه " [١]

ويقول الشهاب أيضا (ت ١٠٦٩ هـ) : " والإشارة بـ (هذا) واقعة على طريق الحكاية لما وقع وقت الوجدان كأنَّ الرائي لهما يقوله لا في المحكي لرسول الله صلى الله عليه وسلم " [٢]

هذا ،وقد نصَّ أبو السعود على أن غرض الإشارة العام . والذي هو بمثابة الأصل . الاستحضار حين وقف على الإشارة في قوله تعالى : ﴿ 🗐❼■🖋♦🖎⇧💣•➲🕛🖂○❒🕮◆❒ ☪◘🖂◎🗲♒⑩🖂🖘 ❁🖬❁○☒🖎 ⅄♦✍ 🖘①🗲✧✵🕛•🔊🖒❒🡅🖒•▫ ⓿🡐○🡐☝♦★🎞⓿🔍➲🖂⌘ 🕘🔍○🔀🖎 🖋🖂♑⑩🔍▫ 🗗🙍🡒♎ ☎ 🗲❻🖋◘☪🔊🖋✂ ➲🖬🕛🖂•⇧🕑❒🕮 ⌘🖂🕛✂🔀🡒🖋♦🔍❒ ﴾ [٣] بقوله : " وإيراد اسم الإشارة المنبئ عن استحضار المشار إليه بماله من الأوصاف للإشعار بعليتها لصاحبيه النار وما فيه من معنى البعد للتنبيه على بعد منزلتهم في الكفر والخطايا " [٤]

وتأمَّل قول أبي السعود أيضا وهو يتحدث عن الغرض من دلالة الإشارة على القرب في قوله تعالى ﴿🕮❒▫❒🖋○♦•⇦❷🗹♎🖂🕛⓿☒✂🖋 ﴾ (سورة الطور : ١٥) " لزيادة تعيين المشار إليه واستحضار ما فيه من الصفات الدالة

---

(١) معاني القرآن وإعرابه للزجاج . شرح وتحقيق : د عبد الجليل عبده شلبي . ٤ / ١٣٦ . ط : عالم الكتب . بيروت . ط : أولى . ١٤٠٨ هـ . ١٩٨٨ م .

(٢) حَاشِيةُ الشِّهَابِ عَلَى تفْسيرِ البَيضَاوِي الْمُسَمَّاة عِنَايةُ القَاضِي وكِفَايةُ الرَّاضِي عَلَى تفْسيرِ البَيضَاوي لشهاب الدين الخفاجي ٧ / ٦٦ ، ٦٧ . ط : دار صادر . بيروت .

(٣) سورة البقرة : آية ٨١

(٤) تفسير أبي السعود المسمى : إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم ١ / ١٢٢ . ط : دار إحياء التراث العربي – بيروت .

على كونه آية باهرة من آيات الله المنادية على امتناع كونه سحرا أي أسحر هذا الذي أمره واضح مكشوف وشأنه مشاهد معروف بحيث لا يرتاب فيه أحد ممَّن له عين مبصرة "[١]

وفي الكتاب يقول سيبويه وهو يعدِّد أنواع المعارف : " وأمَّا الأسماء المبهمة فنحو هذا وهذه، وهذان وهاتان، وهؤلاء، وذلك وتلك، وذانك وتانك، وأولئك، وما أشبه ذلك وإنَّما صارت معرفةً لأنَّها صارت أسماء إشارة إلى الشيء دون سائر أمّته " [٢]

فقول سيبويه " وإنَّما صارت معرفةً ؛لأنَّها صارت أسماء إشارة إلى الشيء دون سائر أمّته " فيه لمحة إلى الاستحضار ؛ذلك لأنَّ حضور المشار إليه فقط هو ما يميزه عن سائر ما يشترك معه في صفاته ،ويعني أيضا أنَّ الاستحضار فحسب هو الذي أزال عن هذه الأسماء الإبهام وأدخلها في جملة المعارف ،فأي تعريف تجده إذا قلتَ مثَلا :هذا ،من دون أن تستحضر المشار إليه أمامك .

ثمَّ إنَّ سيبويه ذكر في معرض حديثه عن الأنواع التي توصف بها المعرفة أن المضاف إلى المعرفة يوصف بثلاثة أشياء : بما أضيف كإضافته، وبالألف واللام، والأسماء المبهمة وذلك: مررتُ بصاحبك أخي زيد، ومررتُ بصاحبك الطويل ،ومررت بصاحبك هذا [٣] وقال : " وإنَّما منع هذا أن يكون صفةً للطويل والرجل أن المخبِر أراد أن يقرّب به شيئاً ويشير إليه لتعرفه بقلبك وبعينك ،دون سائر

(١) تفسير أبي السعود ٤ / ١٦٨

(٢) الكتاب لسيبويه . تح : عبد السلام محمد هارون ٢ / ٥ . ط : دار الجيل . بيروت . ط : أولى . د ت .

(٣) ينظر : الكتاب لسيبويه ٢ / ٧

الأشياء ،وإذا قال الطويل فإنما يريد أن يعرّفك شيئاً بقلبك ولا يريد أن يعرّفكه بعينك ،فلذلك صار هذا يُنعت بالطويل ولا يُنعت الطويل بهذا ؛لأنه صار أخصَّ من الطويل حين أراد أن يعرّفه شيئاً بمعرفة العين ومعرفة القلب وإذا قال الطويل فإنما عرّفه شيئاً بقلبه دون عينه ،فصار ما اجتمع فيه شيئان أخصّ .. " [١]

وهذا نص قاطع على أنَّ سيبويه يشير إلى أن الاستحضار أهم دلالة في أسماء الإشارة حيث ذكر أن التعريف بالإشارة تعريف بالقلب والعين معًا .

وفي قول السكاكي : " .. وأمَّا الحالة التي تقتضي كونه اسم إشارة فهي متى صحَّ إحضاره في ذهن السَّامع بوساطة الإشارة إليه حسًّا ،واتَّصل بذلك داع .. " [٢]

بيان أنَّ التعريف بالإشارة مبني في حقيقته على الاستحضار الحِسي للمشار إليه عند توفُّر الدواعي المسمَّاة بالأغراض .

فـ "المعتبر في أسماء الإشارة هو الإشارة الحسية التي لا يتصور تعلّقها إلا بمحسوس مشاهد ،فإنْ أُشير بها إلى ما يستحيل إحساسه ،نحو : ﴿ ﴾ [غافر : ٢ ٦] أو إلى محسوس غير مشاهد نحو : ﴿ ﴾ [مريم : ٣ ٦] فلتصييره كالمشاهد وتنزيل الإشارة العقلية منزلة الحسية ،كما في

(١) الكتاب لسيبويه ٢ / ٧

(٢) مفتاح العلوم للسكاكي . تح : عبد الحميد هنداوي . ص ٢٧٥ . ط : دار المكتبة العلمية . بيروت . ط : ١ . ١٤٢٠ هـ . ٢٠٠٠ م .

الرضي ،فالإشارة هنا لا تخلو عن لطف ،وقول بعضهم : إن اسم الإشارة إذا كان معه صفة له لم يلزم أن يكون محسوساً وهم محسوس [١]

وإذا كان البلاغيون وأهل العلم قد ذكروا أنَّ الأصل في الإشارة أن تكون حِسِّية فإنَّ استحضار المشار إليه مع غرض التعظيم يعني استحقاق المشار إليه لمضمون الإشارة حتَّى أصبح ذلك كالشيء المحسوس المشاهد الذي يُرى ويُحسّ بالحواس المُجرَّدة ،وفيه استحضار لمظاهر جلال المشار إليه التي يعرفها هو ويعرفها السَّامعون ولا يُنكرونها عنه بحال .

وإنْ شئتَ فاقرأ قول الفرزدق في زين العابدين علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب . رضي الله عنهم أجمعين . وقد نكره هشام بن عبد الملك :

هذَا الذي تَعْرِفُ الْبَطْحَاءُ وَطْأَتَهُ ∴ والْبَيْتُ يَعْرِفُهُ والْحِلُّ والْحَرَمُ

هذَا ابْنُ خَيْر عِبَادِ اللهِ كُلِّهِمِ ∴ هذا التَّقِي النَّقِي الطَّاهِرُ الْعَلَمُ

هَذا اِبنُ فاطِمَةٍ إن كُنتَ جاهِلَهُ ∴ بِجَدِّهِ أَنبِياءُ اللَّهِ قَد خُتِموا [٢]

فقد يُخيَّل إليك أنَّ زين العابدين ظلَّ يستمع إلى الفرزدق ،وهو يعنِّف هِشاما على تجاهله له وكأنَّ الفرزدق ذكر هذا القول في وجه زين العابدين نفسه وهذا يصوِّر الردّ في صورة قاسية يندى لها جبين هشام ،وتجد للاستحضار جمالا في تجسيد صفات الممدوح وتمثيلها في مرأى العين ،وهي معنوية ،فكأنَّك ترى التقى والنقاء والطهارة شاخصات بين يدىّ زين العابدين،فالاستحضار أفاد تعظيم الممدوح

(١) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني للألوسي . ١ / ١٠٦ . ط : دار إحياء التراث العربي – بيروت .

(٢) الأبيات من البسيط وهي للفرزدق . ينظر ديوان الفرزدق . شرح وتقديم : علي قاعود . ص ص ٥١١ . ط : دار الكتب العلمية . بيروت . ط : أولى . ١٤٠٧ هـ . ١٩٨٧ م .

،وتمييزه أكمل تمييز،مع ما في تكرير الإشارة من المبالغة في تعظيم الممدوح من وجه،والمبالغة في الرد على تجاهل هشام من وجه آخر وكأنَّ الفرزدق بهذه الكلمات الفواحة ظلَّ يرضخ هشاما بحجارة تدميه ،وما أنكى الرَّد حين يكون من غير صاحبه!!حيث إنَّك ترى فيه الصِّدق الخالص،والوفاء الصَّافي.

يقول صاحب البلاغة العربية " لقد حَسُنَ في ذوق الفرزدق أنْ يُكَرِّر استعمال اسم الإشارة للدّلالة على ممدوحه ،وتمييزه أكمل تمييز ،وفي هذا التمييز ردٌّ ضِمْنِي على تجاهل هشام بن عبد الملك له " [1] ثم انظر ما في الاستحضار في قوله تعالى : ﴿ ♦♌❐➔❸➪➪➔📻⬀⬁❐♦▫☒•✍➔➪♦▫❐📖 ☎ ✍✂❀☞☼◪♑❐✍➪❷⓫❶❸✍♑ ✍➪⊗☹❐♦♦➪✍ ♦♌❐ [2]

من جمال وهو يبرز عظمة المشار إليه وهو "تفاريع النيل التي تبتدىء قرب القاهرة فيتفرع النيل بها إلى فرعين عظيمين فرع دِمياط وفرع رشيد ، وتعرف بالدّلتا " [3] اللازم عنها عظمة المنادِي ،وهو فرعون . لعنه الله . فإنَّ في لفظ

---

(١) البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها وصور من تطبيقاتها بهيكل جديد من طريف وتليد ، للدكتورعبد الرحمن حسن حَبَنَّكة الميداني ١ / ٤٢١ . ط : دار القلم . دمشق . ط : أولى . ١٤١٦ هـ . ١٩٩٦ م

(٢) سورة الزخرف : آية ٥١

(٣) التحرير والتنوير للشيخ محمد الطاهر بن عاشور . ٢٥ / ٢٣٠ . ط : دار سحنون . تونس - ١٩٩٧ م .

وقيل : عنى الأنهار التي فصلوها من النيل ومعظمها أربعة نهر الملك ونهر طولون ونهر دمياط ونهر تنيس ، قيل كانت تجري تحت قصره ، وحاصل الأمر أنه احتج بكثرة أمواله وقوة جاهه على فضيلة نفسه . ينظر : تفسير الرازي ٢٧ / ١٨٧

(تحتي) "استعارة للتمكُّن من تصاريف النيل ،كالاستعارة في قوله تعالى : ﴿ ⇧⑨♦🕭 ♉🖂➔🖂 ❻◆🖃🖋• ·❁❸🖱🖃🖋◆❐✍ 🖃🖋◆🖃🖋◆❐✍ ·●❸🖱③♦🖋 ﴾ " [1] وقد استعان النظم الكريم فيما حكاه عن فرعون باسم الإشارة الدالّ على القرب ؛إذ هو الأنسب بالسِّياق في حكايته عن عظمة ملك فرعون وهي عظمة زائفة في حقيقتها ،حيث تحكي فقط زخارف زائلة هذه الزخارف استحضرها فرعون أمام قومه ليثبت لهم أنه أوتي ملكا عظيما يرونه هم بأعينهم وهذا ما يجعله في نظره القاصر الأولى بالاتباع والطاعة لأن موسى عليه السلام في نظره كما حكاه القرآن ﴿ ←⑩🕭♦▤◆③ ••◆❐ ⪻✖✓🖱🖃↖③ ←✖✓🖱℁♦🕭 ﴾ ،وقوله تعالى في تذييل الآية الكريمة على لسان فرعون :﴿ 🕮❐▫☒♦• ✍➔🖃🖱❸➔❐◆♌ ﴾ يشي بأنَّ المشار إليه محسوسا ،ولو ادِّعائيا ،فاستحضار المشار إليه في الآية الكريمة قد اعتمد عليه النظم الكريم في تصوير هذه العظمة .

وأمَّا استحضار المشار إليه مع غرض التهكُّم والتحقير فإنَّ ذلك يعني بالغ النكارة به والاستخفاف بحاله ،وعدم خوف المتكلِّم منه ،ولولا ذلك لمَا أمكنه . ولو ادِّعاء . مُواجهة المشار إليه بما يكرهه ،كما أنَّ الاستحضار مع غرض التهكم والتحقير يعني أنَّ ما أشار به المتكلِّم باد محسوس عليه ،معلوم عند المشار إليه وعند غيره ولا ينكره أحد ،وهذا من بالغ الإهانة والازدراء بالمشار إليه .

(١) التحرير والتنوير ٢٥ / ٢٣٠

فالمتأمِّل مثلا لبعض الآيات التي عرضت للحديث عن قضية الإفك في سورة النور عند قوله تعالى : ﴿ 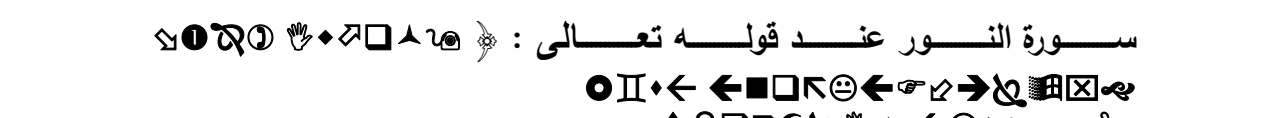 ﴾ (النور : ١٢) وقوله تعالى : ﴿ ﴾ (النور : ١٦) يجد أنَّ النظم الكريم قد استعان باسم الإشارة ثلاث مرات (هذا إفك مبين) و (ما يكون لنا أن نتكلم بهذا) و (هذا بهتان عظيم) " لتمييزه أبلغ تمييز، وإبرازه بما فيه من قُبْحٍ وشناعةٍ وظُلْمٍ لا يَلِيقُ بالمؤمنين " [1]

فقد كان الاستحضار هو السبيل الذي اتَّكأ عليه النَّظم الكريم لتقبيح صورة هذا الحديث الآثم الذي اتخذ من عرض أم المؤمنين عائشة ـ رضي الله عنها ـ غرضا لسهام الطعن ،حيث جسَّد اسم الإشارة أمامك قبح الحديث وفظاعته ،وقد عاون الاستحضار على إبراز مراد النظم الكريم : الوصف تارة بـ (مبين) وتارة بـ (عظيم) بعد تسميته بهتانا ،والتعجُّب من القول كما حكاه قوله : (سبحانك) .

وفي حديث مَيْمُونٍ عن عبد اللَّهِ : " قال : بَيْنَمَا رسول اللَّهِ ـ صلى الله عليه وسلم ـ قَائِمٌ يُصَلِّي عِنْدَ الْكَعْبَةِ ،وَجَمْعُ قُرَيْشٍ في مَجَالِسِهِمْ ،إِذْ قال قَائِلٌ منهم ألا تَنْظُرُونَ إلى هذا الْمُرَائِي أَيُّكُمْ يَقُومُ إلى جَزُورِ آلِ فُلَانٍ فَيَعْمِدُ إلى فَرْثِهَا وَدَمِهَا

(١) البلاغة العربية ١ / ٤٢١

وَسَلَاهَا فَيَجِيءُ بِهِ ثُمَّ يُمْهِلُهُ حتى إذا سَجَدَ وَضَعَهُ بين كَتِفَيْهِ ؟ ... إلخ الحديث " (١)

تأمّل كيف جسَّد الاستحضار في اسم الإشارة (ألا تنظروا إلى هذا المرائي) بالغ إهانة القوم وازدرائهم بالرَّسول الخاتم ،وكيف أنَّهم نكروه ،وكأنَّه رجل لم تره أعينهم من قبل ،رغم أنَّه لم يغب عن بال القوم لحظة واحدة ،فقد أفاد الاستحضار هنا المُبالغة في تحقير القوم للرسول الكريم فقد أراك هؤلاء القوم في مجالسهم الآن يسخرون ويستهزئون بنبيِّهم الكريم وما أقذع الوصف بالمرائي ! وما أنكاه ! حيث ترى الوصف قد آثر الاستحضار في تصوير بالغ التهكم والتحقير الذي لحق بالرسول الكريم .

وأمَّا استحضار المشار إليه مع غرض إبراز غباوة السامع فإنَّ ذلك يعني أنَّ السَّامع لا يدرك إلا الأمور المحسوسة المشاهدة عيانا ،فاستحضار المشار إليه يعني تجسيده في مرأى الغبي المخاطب ،وفي هذا مِن المُبالغة في وصف غباوته وتجهيله ،ما لا يخفي على ذي بصيرة ؛ذلك لأنَّ اسم الإشارة يوحي " بأنّ المخاطَب يحتاج لتمييز المتحدّث عَنْهُ إلى إشارة حسّيَّةٍ ،وأنَّه لاَ تكفيه الدلالات الفكريّة " (٢)

---

(١) الجامع الصحيح المختصر للبخاري . تح : د مصطفي ديب البغا . ١ / ١٩٤ . بَاب الْمَرْأَةِ تَطْرَحُ عن الْمُصَلِّي شيئا من الْأَذَى . ط : دار ابن كثير . اليمامة . بيروت . ط ثالثة . ١٤٠٧ هـ . ١٩٨٧ م .

السَّلى الجِلدُ الرقيقُ الذي يَخرَّجُ فيه الوَلد من بطْنِ أُمِّه مَلْفوفاً فيه . ينظر : لسان العرب لابن منظور مادة (س ل ا) . ط : دار صادر . بيروت . ط : أولى . د ت .

(٢) البلاغة العربية ١ / ٤٢٢

والشاهد العلم لهذا الغرض قول الفرزدق مفتخرًا على جرير :

أولئِـكَ آبَـائِي فَجِئْنِـي بِمِـثْلِهِمْ ∴ إذا جَمَعَتْنَـا يَـا جَرِيـرُ الْمَجَـامِعُ

وقد أعان اسم الإشارة في تحقير المخاطب وهو جرير وإظهار غباوته أسلوب الأمر " فَجِئْنِي بِمِثْلِهِم " الذي يحمل في مضمونه تعجيز المخاطب وإشعاره بالضعف والخور ،وأنَّ هذا لا يكون لمثله ، كما أعان على نكارة المخاطب النداء باسمه المجرد ،وفي إضافة الآباء إلى ضمير المتكلم (الفرزدق) إشعار بعظمتهم وكمالهم ،وفيه من التعريض بآباء جرير ،وأنَّهم دون آباء الفرزدق في العظمة والكمال ما لا يخفي .

وأمَّا استحضار المشار إليه حين يأتي اسم الإشارة عقب أوصاف لمذكور محكي عنه ،فإنَّ ذلك يعني أنَّ أوصاف المشار إليه كائنة فيه ، وأنَّ المشار إليه حقيق بالوصف جدير به ، وكأنَّ هذه الأوصاف يشتهر بها ويعرف ، كما أنَّ الاستحضار يعني أنَّهم وحدهم الذين يجري الوصف عليهم ولا سيَّما أنَّ الإشارة توحي بالكمال في الوصف ،وترمز إلى أنَّ غيرهم لا ينطبق عليه شيء مِن أوصافهم .

فعندما تقرأ قوله تعالى وهو يُعدِّد أوصاف المتقين في مطلع سورة البقرة

عنـــــد قولـــــه تعـــــالى : ﴿ 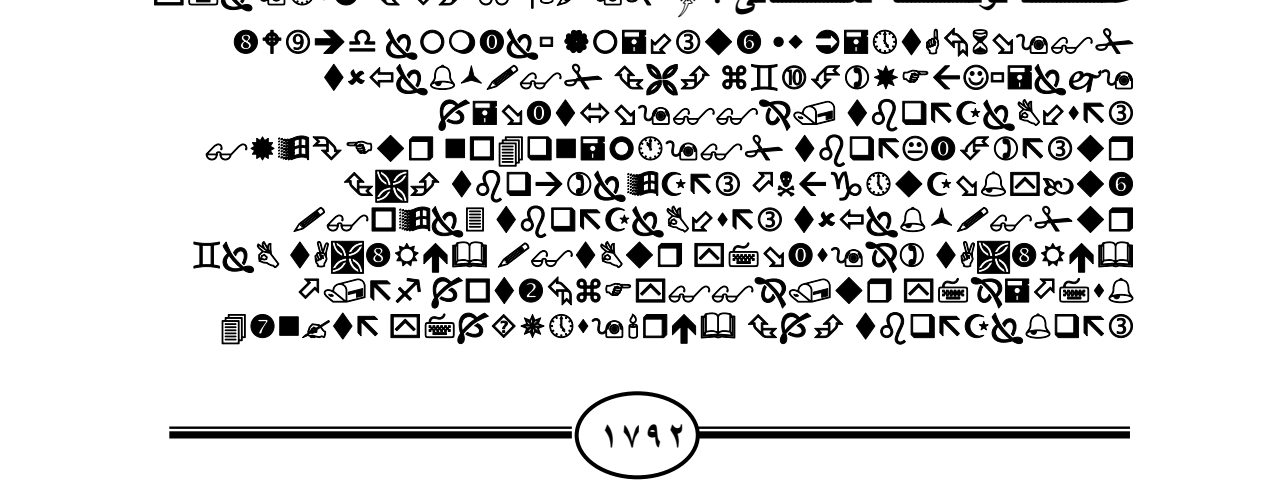

تـــــدرك مـــــا للاستحضـــــار الكـــــامن فـــــي اســـــم الإشـــــارة

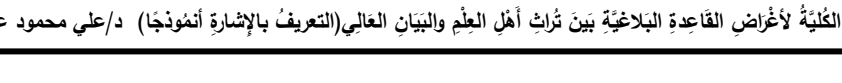

مِن جمال حيث أفاد أنَّ وصف الهداية والفلاح مختصّ بالمتقين ،دون غيرهم ،وأفاد كذلك أنَّهم جديرون بالوصف ،وأنَّ هذه الأوصاف تميزهم ،ويتجسَّد الوصف ـ بواسطة الإشارة ـ في مرآة العين وكأنَّه باد عليهم محسوس وفي هذا من المبالغة في شأنهم ما لا يخفي .

وأمَّا استحضار المشار إليه حين يكون الغرض بيان حال المشار إليه في القرب ،فإنَّ هذا يعني الانتقال مِن القُرب المعنوي إلى القُرب المحسوس ،خذ مثلا قول امرئ القيس :

أفاطِمَ مهلاً بعضَ هذا التدلُّلِ ∴ وإنْ كنتِ قد أزمعتِ صَرمي فأَجْملي [٢]

ترى امرأ القيس قد أراك التدلُّل محسوسا قريبا منه ،حتَّى لكأنَّه يشير إليه بيديه وفي هذا مِن المُبالغة ،كما أراك الاستحضار لوعة الشاعر ،وحسرته ،وشدة ما أصابه ،ذلك لقُرب التدلُّل ـ الذي يبغضه ـ منه ،وقد أعان على الاستحضار نداؤه إياها بما يدل على القُرب وهي الهمزة .

وفي قول جرير :

لَقَد هاجَ هذا الشَوقُ عَيناً مَريضَةً ∴ وَنَوحُ الحَمامِ الصادِحاتِ السَواجِعِ

---

(١) سورة البقرة : الآيات من ٢ : ٥

(٢) البيت من الطويل . ينظر ديوان امرئ القيس ص ٣٢ ـ شرح عبد الرحمن المصطاوي ـ ط : : دار المعرفة ـ بيروت ـ ط : ثانية ـ ١٤٢٥ هـ ـ ٢٠٠٤ م .

فَـذَكَّرنَ ذا الإعـوالِ وَالشَـوقِ ذِكـرَهُ ∴ فَهَيَّجنَ ما بَينَ الحَشا وَالأَضالِعِ[1]

تجد أنَّ استحضار المشار إليه ،وهو الشوق ،قد جسَّد الشَّوق شاخصا بين يدي الشاعر فأفاد شدَّة ما أحدثه الشَّوق في فؤاده ،وهو الذي عناه الشَّاعر بقوله :" فهيجنَ ما بينْ الحشا والأضالعِ " .

وأمَّا استحضار المشار إليه حين يكون الغرض بيان حال المشار إليه في البُعد ،فإنَّه يستحضر أمامك بُعد المنزلة ،وينقلها من الأمور المعنوية إلى المحسوسات ،وفي هذا مبالغة إذ إنَّه أراد البُعد وشخَّصه بين يديك وعينيك ،فكأنَّه أراد حالتين مختلفتين ،وجمع بين أمرين متناقضين .

والخلاصة : فإنَّ الاستحضار يشتمل على طاقة هائلة تمكِّن صاحب البيان من تصوير الغائب البعيد في صورة الحاضر المشاهد .

كما أنَّ في الاستحضار طاقة هائلة على المُبالغة ،أيًا كان الغرض من الاستحضار التعظيم ،أو التهكُّم ،أو غير ذلك ،إلى غير ذلك مِن المعاني البلاغية البديعة والإشارات البيانية اللطيفة التي يصحبها الاستحضار مع كلِّ غرض على حدة ،وهي بلا شكّ وفيرة ،يتلمَّسها صاحب كلّ ذي بيان في بيانه .

(١) البيتان من الطويل . ينظر : ديوان جرير بشرح محمد بن حبيب . تح : د نعمان محمد أمين طه . ٢ / ٦٦٢ . ط : دار المعارف . القاهرة ط : ثالثة . د ت .

الفصل الثاني

التعريف باسم الإشارة وإفادة الاستحضار ـ دراسة تطبيقية لأمثلة من البيان العالى

تقف الدراسة في هذا الفصل عند إبراز الاستحضار كأصل كلي للتعريف بالإشارة من خلال دراسة تطبيقية لأمثلة من البيان العالي ،ننفذ من خلالها بصورة مباشرة إلى الجوانب البلاغية للاستحضار .

وابتداء يجب التنبُّه لأمر مُهمّ ،وهو أنَّه لا يكفي القول بدلالة المشار إليه على الاستحضار وإنَّما ينبغي إبراز وجه تلاؤم الاستحضار مع كلّ غرض مِن أغراض التعريف بالإشارة على حِدة ،حتى يبين ما تصبو إليه الدراسة ،وهو تعميم فكرة دلالة التعريف بالإشارة على الاستحضار من وجه ،وإبراز شكل العلاقة بين الأصل الكلي والغرض الجزئي ووجه التناسب بينهما من وجه آخر ،من خلال شواهد متنوعة من فصيح الكلام شعرا كان أو نثرا .

فممَّا لا شكَّ فيه أنَّ الاستحضار كأصل كلي يتلاءم مع أغراض التعريف بالإشارة جميعها ،لكن يختلف مع كلّ غرض وجه التناسب بينهما ،وسوف يبدو هذا واضحا من خلال هذه الدراسة التطبيقية .

فعندما يكون الغرض مِن التعريف بالإشارة التعظيم مثلا ،فإنَّ الاستحضار يتناسب مع التعظيم في كونه يُبرز المشار إليه وكأنَّه بلغ الغاية في العظمة ووصل إلى حدّ الكمال والرفعة ،ثمَّ إنَّه يظهره وقد ملأ العين حسنا وكمالا وجمالا ،وفي استحضار المشار إليه والغرض التعظيم ما يشبه دعوى الشيء ببينة ،وكأنَّ المتحدث يعرض البرهان لما يدَّعيه ففي الاستحضار يَبرز صدق المتحدِّث ؛لأنَّ ما

يدعيه يطابق الواقع ،ولا يخالفه في شيء حيث ترى المشار إليه شاخصًا ماثلا بين يديك .

خـــذ مـــثلا قولـــه تعـــالى :﴿

﴾(١)

تجد كيف كان لاستحضار المشار إليه من إفادة تعظيم الجزاء الذي حصل لنبي الله سليمان عليه السلام ،حيث ترى أنَّ النَّظم الكريم قد عدَّد الإنعام الذي حصل لسيدنا سليمان عليه السلام ،ثمّ أشار إليه ثانية بعد أن سماه عطاء ،وفيما أرى لم يكن للإشارة غرض عدا استحضار المشار إليه لإفادة كمال تعظيمه والاستحضار قد جرى على الأصل ؛ذلك لأنَّ الإنعام وقع بالفعل ،وقد صوَّر ذلك الفعل الماضي (فسخرنا) الذي يدل على تحقق الإنعام ووصوله للمنعم عليه .

وفـــي قولـــه تعـــالى ﴿

﴾

(١) سورة ص : الآيات من ٣٤ . ٣٩

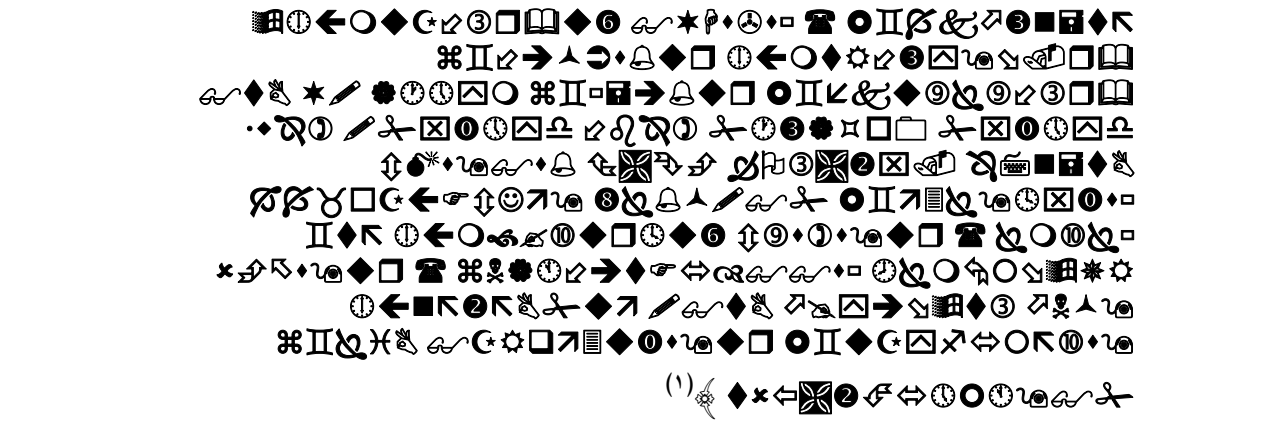

حكى النظم الكريم كلام النسوة عند قول الله تعالى :﴿ ✶ ❁ ✍ ✂ ☒ ❶ ✂ ❐ ▭ ✂ ☒ ❶ ✂ ❐ ▭ ✂ ✍ ✋ ﴾ فتراهنّ قد نزَّهن سيدنا يوسف عن كلّ سُوء في قوله ﴿ ✶ ✍ ✂ ﴾ ،ثمَّ أتبعن ذلك باستحضاره من خلال الإشارة إليه مرتين ،مرَّة حين نفين عنه البشرية في قوله ﴿ ✂ ☒ ❶ ✂ ❐ ▭ ✂ ✍ ✋ ﴾ ،وأخرى حين قصرنه على كونه ملكا في قوله ﴿ ✂ ☒ ❶ ✂ ✍ ✋ ■ ■ ✉ ☒ ❷ ✉ ③ ﴾ ،وما ذلك إلا لتعظيمه والمبالغة في صفات كماله عليه السلام ،فقول النسوة كما حكاه القرآن : "مبالغة في فَوْته محاسن البشر ،فمعناه التفضيل في محاسِن البشَر ". (٢)

ثمَّ إنَّ الإشارة فيما حكاه القرآن عن امرأة العزيز عند قوله تعالى ﴿ ✂ ☒ ❶ ✂ ❐ ▭ ✂ ✍ ✋ ﴾

(١) سورة يوسف : الآيتان ٣١ ، ٣٢

(٢) التحرير والتنوير ١٢ / ٢٦٣

لم يكن لها غرض سوى استحضار المُشار إليه المراد تعظيمه ،وهو سيدنا يوسف عليه السَّلام ذلك لأنَّ " النسوة كن يقلن : إنَّها عشقت عبدها الكنعاني ، فلما رأينه ،ووقعن في تلك الدهشة ،قالت : هذا الذي رأيتموه هو ذلك العبد الكنعاني الذي لمتنني فيه ،يعني : أنكن لم تتصورنه حقّ تصوّره ولو حصلتْ في خيالكنّ صورته لتركتنَّ هذه الملامة" [١]

فانظر إلى عظيم التعبير بالإشارة ،وما أفاده مِن استحضار المشار إليه ،ومن دون التعبير به ما أمكن لامرأة العزيز بحال من الأحوال وصف جمال يوسف عليه السلام ،ولبقيت في عين النسوة ملامة بجريرتها ،بل أقول : إنَّ استحضار المشار إليه في كلّ ما تقدّم يمثل نوعا من تخفيف الوطء على هذه المرأة ،فقد كان لسان حالها يقول : لو تكرَّرت الحادثة ثانية لراودته ،وأنتن أيها النسوة كذلك ،ذلك لأنَّ النسوة عذرنها فيما فعلت حين رأين جمال يوسف عليه السلام .

كان لاستحضار المشار إليه في قول امرأة العزيز بالغ التعظيم ليوسف عليه السلام ،وتجد كيف كان للإشارة من حُسن بيان ما جاش في صدر المرأة وانظر كيف وظفته تلك المرأة لرفع اللوم والحرج عنها ،ذلك لأنَّها " لما رأت افتتانهنَّ بيوسف أظهرت عذر نفسها " [٢] فإنَّ استحضار المشار إليه وهو يوسف عليه السلام حمل معه براءتها أمام النسوة ،وتأمَّل ثانية كيف أنَّ النظم الكريم قد وظَّفه أيضا توظيفا جيدا في إبراز حسنه وجماله .

وفي قوله تعالى

---

(١) تفسير الرازي ١٨ / ١٠٤

(٢) تفسير القُرطبي المسمَّى الجامع لأحكام القرآن . ٩ / ١٨٣ . ط : دار الشعب . القاهرة . د ت .

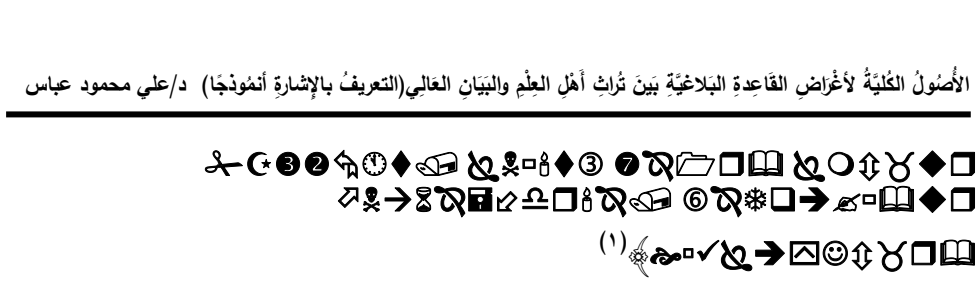

أفادت الإشارة استحضار المشار إليه ،وهو قميص سيدنا يوسف عليه السَّلام ،وقد كان للاستحضار فضل تمييز المشار إليه أكمل تمييز ،حيث وقع اسم الإشارة موقع الوصف ،وفي الوصف ـ كما هو معلوم ـ يكون الإيضاح فالإشارة هنا أغنت عن وصف الشيء ونعته ذلك لأنَّ الاستحضار هنا حقيقي ،فأي وصف أكمل من الاستحضار ؟ إن وصف المشار إليه بالإشارة لا يوازيه وصف أبدا ،ففي الاستحضار يجري الوصف ولو ضمنا لكل أوصاف المشار إليه على سبيل الاستقصاء ، فاستقصاء أوصاف المشار إليه في ظنِّي لا يمكن لصاحب بيان أبدا .

أمَّا استحضار المشار إليه حين يكون الغرض مِن التعريف بالاشارة التهكُّم والتحقير فإنَّ الاستحضار أيضًا يتناسب مع التهكُّم والتحقير ،حيثُ يجري الاستحضار مع التحقير في المُبالغة في الازدراء بالمشار إليه ،وإبراز أنَّ أوصاف الحقارة بادية عليه ،غير خافية على أحد ،ففي الاستحضار تجسيد هذه الأوصاف وتشخيصها في مرأى العين ، وفي استحضار المشار إليه المراد تحقيره يبدو التهكُّم مرّا ،لا يُسِيغه الحَلق ، ولا يَستمرِئُه الجوف ،حيثُ يعني الاستحضار أنَّ المُتهكَّم منه لا حول له ولا قوة .

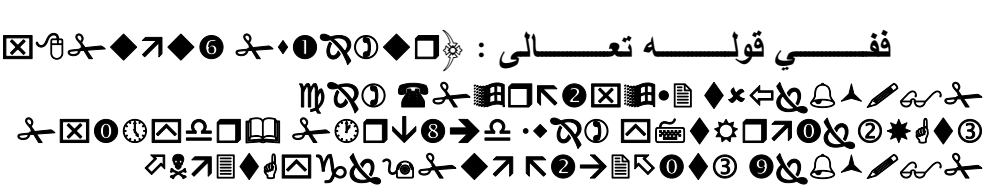

---

(١) سورة يوسف : آية ٩٣

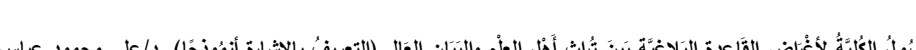

كان للاستحضار عظيم الأثر في المبالغة في توبيخ المشار إليه ،وهو الرَّسول الكريم والتعجيب من حاله ،وكأنَّ مثله لحقارته لا يكون منه ذلك ألبتة وهو التعرُّض لآلهتهم بسُوء فانظر كيف تناسب التحقير مع الاستحضار ؟! في كون الاستحضار قد أضفي على هذا الغرض المُبالغة ؛لأنَّ استحضار المُشار إليه والغرض التحقير يعني أنَّ المُشار إليه حقيق بالوصف ،جدير به .

هذا ، والاستحضار هنا حقيقي ؛لأنَّ السِّياق القبلي حكى الزَّمان الذي قال فيه الكفار قولتهم وهو وقت رؤيتهم له ،وذلك في مطلع الآية الكريمة

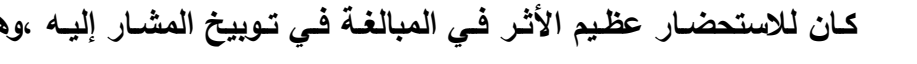

هذا ،وقد كان للاستفهام التوبيخي التعجبي الذي يشي أيضا بالاستبعاد فضل بيان في توبيخ المشار إليه وتحقيره ،مع " إبراز بعث الله رسولا في معرض التسليم بجعله صلة للموصول الذي هو صفته صلَّى الله عليه وسلَّم مع كونهم في غاية النكير لبعثه صلى الله عليه وسلم بطريق التهكم والاستهزاء ،وإلا لقالوا : أبعث الله هذا رسولا ،أو أهذا الذي يزعم أنَّه بعثه الله رسولا " [٢]

فالاستفهام التوبيخي التعجبي مع إبراز البعث في صورة التسليم أعانا اسم الإشارة المفيد الاستحضار على المبالغة في التهكُّم والتحقير .

---

(١) سورة الأنبياء : آية ٣٦

(٢) تفسير أبي السعود ٦ / ٢٢٠

وفـــــي قولـــــه تعـــــالى :﴿ 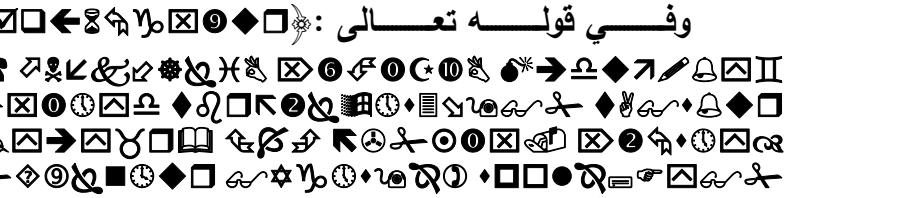 ﴾

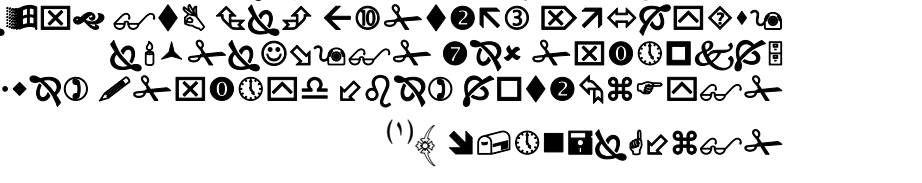

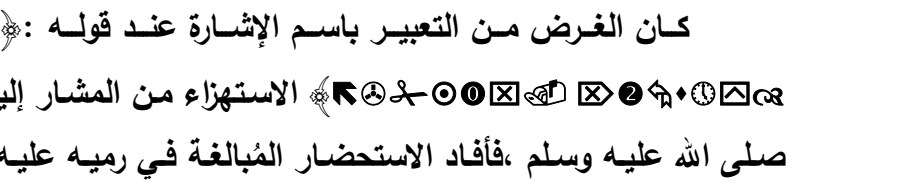

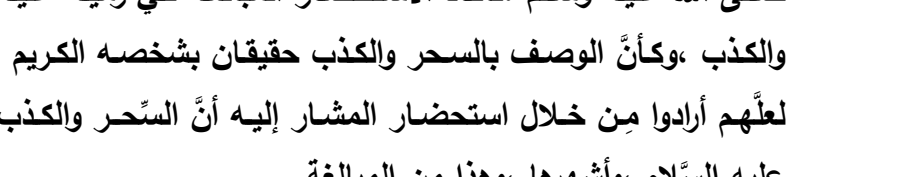

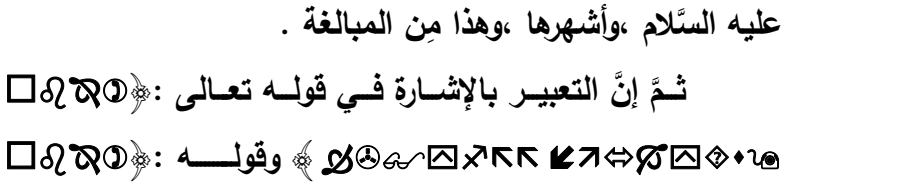

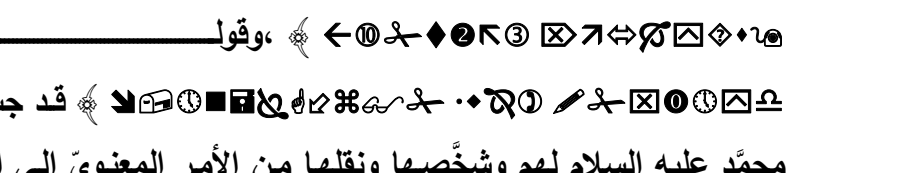

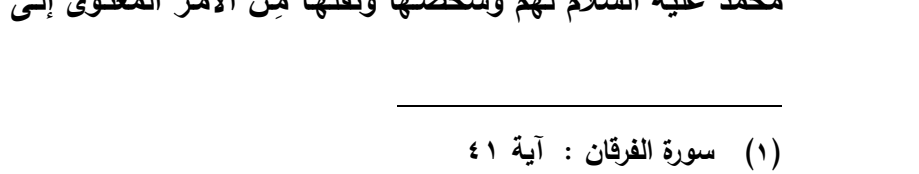

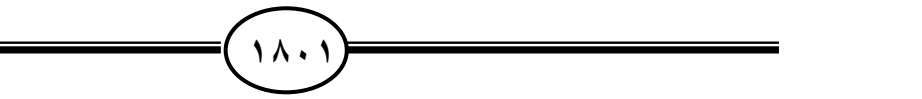

[1]﴾

كـان الغـرض مـن التعبيـر باسـم الإشـارة عنـد قولـه :﴿

﴾ الاستهزاء من المشار إليه ،وهو الرَّسول صلى الله عليه وسلم ،فأفاد الاستحضار المُبالغة في رميه عليه السلام بالسِّحر والكذب ،وكأنَّ الوصف بالسحر والكذب حقيقان بشخصه الكريم عليه السلام ،أو لعلَّهم أرادوا مِن خلال استحضار المشار إليه أنَّ السِّحر والكذب أوضح أوصافه عليه السَّلام ،وأشهرها ،وهذا مِن المبالغة .

ثـمَّ إنَّ التعبيـر بالإشـارة فـي قولـه تعـالى :﴿

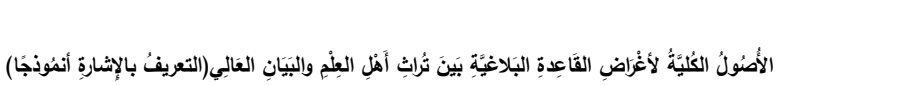

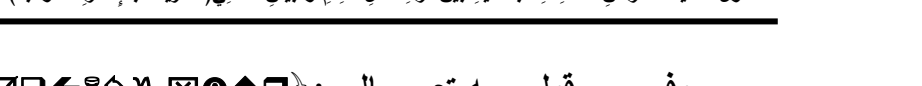

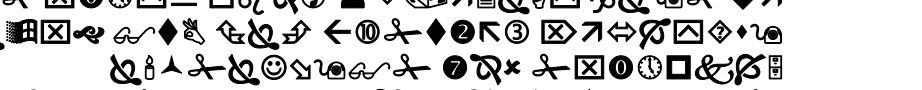

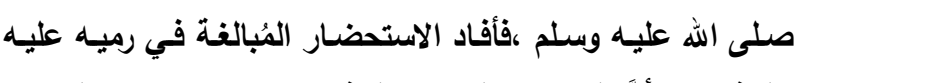

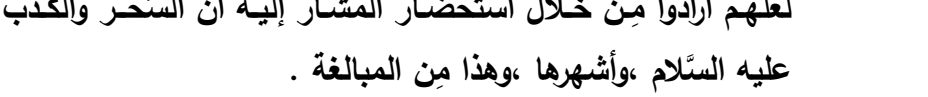

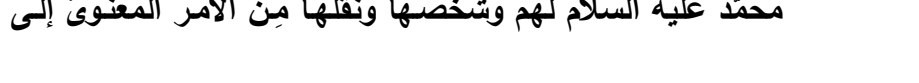

﴾ قد جسَّد دعوة سيدنا محمَّد عليه السلام لهم وشخَّصها ونقلها مِن الأمر المعنويّ إلى الأمر المحسُوس

(١) سورة الفرقان : آية ٤١

،فاستحضار المُشار إليه يمكِّن هؤلاء القوم مِن التهكُّم والتقبيح بأن يجد الوصف لـه موصوفا في مرأى العين .

وتكرار الوصف ثلاث مرات :(لشيء عجاب ،لشيء يراد ،إن هذا إلا اختلاق) يحكي مرارة دعوة سيدنا محمَّد عليه السلام في حلوقهم ،وغيظهم الشديد وحنقهم على دعوة الإسلام التي جاء بها النبي الخاتم ،وقد جاءت أوصاف دعوة سيدنا محمد عليه السَّلام مُتنامية ،حيثُ وصفت ابتداء بأنَّها شيء عجيب ،وهو أدنى درجات الإنكار لهذه الدعوة ،ثمَّ وُصفت بأنَّها دعوة يُراد بها الشَّرف والمُفاخرة فحسب ،والوصف الثالث جاء ليرميها بالكذب ،وأنَّها مِن عند نفسه وليست وحيا من عند الله ،وذلك بطريق القصر والاختصاص .

فمرارة هذه الدَّعوة في نفوس هؤلاء الكفار كانت وراء استحضار المشار إليه ،والاستحضار هنا ادِّعائي ،حيثُ إنَّهم قد قالوا مقالتهم هذه حين انصرافهم من مجلس أبي طالب فقد جعلوا النبي (صلى الله عليه وسلم) لقرب عهدهم بمحضره ،كأنَّه حاضر حين الإشارة إليه وجَعلوا حالهُ سحراً وكذباً ؛لأنَّهم لمَّا لم تقبَل عقولهم ما كلَّمهم به ،زعموا ما لا يفهمون منه مثل كون الإله واحداً ،أو كونه يُعيد الموتى أحياء [1]

(١) ينظر : التحرير والتنوير ٢٣ / ٢٠٩

جاء في سبب نزول الآيات الكريمة : ما روي عن ابن عباس ، قال: مرض أبو طالب ،فجاءت قريش ،وجاء النبي صلى الله عليه وسلم وعند رأس أبي طالب مجلس رجل ،فقام أبو جهل كي يمنعه من ذلك ،فشكوه إلى أبي طالب فقال: يا ابن أخي ما تريد من قومك ؟ قال: يا عم إنما أريد منهم كلمة تذل لهم بها العرب وتؤدي إليهم الجزية بها العجم قال: كلمة واحدة قال ما هي ؟ قال: لا إله إلا الله ،فقالوا: أجعل الآلهة إلهاً واحداً ؟ قال : فنزل فيهم القرآن (❽✍❶ ✓ ❐◆✂ ❷↗↗◆✂ ❸↘ ✍ ✂ ✓)

كذلك ،فإنَّ المشار إليه ، وهو دعوة سيدنا محمَّد عليه السَّلام ،أمر معنوي لا يُمكن استحضاره بحال إلا على سبيل الادِّعاء وتنزيل المعنوي منزلة المحسوس .

ثمَّ إنَّ استحضار المشار إليه في الآيات الكريمة يتناسب مع عتو هؤلاء القوم وعنادهم فالنَّظم الكريم صور بالغ دهشتهم لما جاء به سيدنا محمَّد عليه السَّلام ،حيث إنَّ الاستحضار طريق يبلغ به القوم مُرادهم من السُّخرية والتهكُّم فمِن دون استحضاره . ولو ادِّعاء . يبدو الازدراء بالمشار إليه ضعيفا ،وهو حينئذٍ لا يتناسب مع ما انطوت عليه ضمائرهم في شيء .

هذا ،وترى لاستحضار المشار إليه في قوله تعالى ﴿ [illegible] ﴾[1] مذاقا من البيان حسنا ،حيث يظهر من خلال استحضار المشار إليه ،وهو ابنتا شعيب عليه السلام ،بالغ كرم سيدنا شعيب بنبي الله موسى عليهما السَّلام ،حيث أراه سيدنا شعيب ابنتيه لينظر أيتهما شاء ،ولا يفعل ذلك إلا كريم ،ويبدو أن رغبة سيدنا

[illegible] حتى بلغ ([illegible]) .

ينظر : لباب النقول في أسباب النزول للسيوطي ص ١٨٣ . ط : دار إحياء العلوم . بيروت .

(١) سورة القصص : آية ٢٧

شعيب عليه السلام في مصاهرة موسى كانت وراء استحضار ابنتيه معا لما عرفه عنه ،وفي استحضارهما أمامه يتميز المشار إليه أكمل تمييز .

والاستحضار هنا أراه حقيقيا ،ويرى الطَّاهر بن عاشور احتمال كون الاستحضار هنا حقيقيا واحتمال كونه ادِّعائيا ،ففي التحرير : " الإشارة في قوله : (هاتين) إلى المرأتين اللتين سقى لهما أن كانتا حاضرتين معاً دون غيرهما من بنات شعيب لتعلق القضية بشأنهما ،أو تكون الإشارة إليهما لحضورهما في ذهن موسى باعتبار قرب عهده بالسقي لهما ،إن كانت الأخرى غائبة حينئذ " (١)

وفي استحضار المشار إليه هنا تمييز له عن آحاد جنسه ،يقول الزمخشري في سرِّ التعبير بالإشارة هنا : " فيه دليل على أنه كانت له غيرهما " (٢) فاستحضار المُشار إليه أفاد تخصيصه وتمييزه ،وهذا لعظم أمر النِّكاح .

أمَّا استحضار المُشار إليه حين يكون الغرض مِن التعريف بالاشارة إبراز غباوة السَّامع ،وأنَّه لا يتميَّز الشيء عنده إلا بالحسّ ،وهو " يكْثرُ في مخاطبات الناس أنّهم كلّما شعروا بغباء المخاطب عن إدراك المتحدّث عنه استخدموا له اسماً من أسماء الإشارة ،على معنى: هذا أو ذاك أو ذلك فانظره إذا كنت من الذين لا تكفيهم الدلالة الفكرية " (٣) فإنَّ الاستحضار يتناسب مع ذلك الغرض حيثُ يجسِّد الاستحضار غباوة السامع ،ويُبرزها في صورة أكثر وضوحًا ؛ ذلك لأنَّ الاستحضار ينفي عن المشار إليه أدنى علم بالمعنويات ،وكأنَّه لا يفقه إلا المحسوسات ،وهذا من المبالغة في وصف غبائه .

(١) التحرير والتنوير ٢٠ / ١٠٦

(٢) الكشاف ٣ / ٤٠٨

(٣) البلاغة العربية ١ / ٤٢٢

والشاهد الأمّ في هذا الباب ،والذي عرضتُ له آنفًا قول الفرزدق مخاطبًا جرير :

أولئِكَ آبَائِي فَجِئْنِي بِمِثْلِهِمْ ∴ إذا جَمَعَتْنَا يَا جَرِيرُ الْمَجَامِعُ

فقد جسَّد الاستحضار غباوة جرير في أبلغ ما يكون ،ولاسيَّما قد حمل البيت معاني التحدِّي والتعجيز ،ورمي المخاطب بالضعف والخور؛ " لأنه قد تحقق عنده أن ليس للمخاطب مثل آبائه " (١)

وعندي : أنَّ هذا البيت يُمكن أن يكون شاهدا لغرض تعظيم المُشار إليه (آباء الفرزدق) ؛إذ في إضافة الآباء إلى ضمير المتكلِّم (الفرزدق) إشعار بعظمتهم وكمالهم ،وفيه من التعريض بآباء جرير ،وأنَّهم دون آباء الفرزدق في العظمة والكمال ما لا يخفي ،ويكون لاستحضار المشار إليه فائدة عظيمة في تجسيد عظيم الشمائل التي كانت لآباء المتكلم (الفرزدق) وأنها لتأصلها فيهم كأنها بادية عليهم محسوسة فيهم ،لا يمكن لأحد إنكارها عليهم ،وقديما قالوا النِّكات البلاغية لا تتزاحم .

وقريب منه استحضار المشار إليه ،وهو الجزاء وصنوف العذاب المختلفة التي لحقت بالكافر يوم القيامة ،في قوله تعالى :

(١) معاهد التنصيص على شواهد التلخيص لعبد الرحيم العباسي . تح : محمد محيي الدين عبد الحميد . ١ / ١١٩ . ط : عالم الكتب . بيروت . ١٣٦٧ هـ . ١٩٤٧م .

﴿ ♦♌□➔❸♦✋⇳☺•✍ ﴾[1] وقد كان الغرض من الإشارة توبيخ المخاطب ،وتقريعه ،وإهانته ،وتصوير بالغ غباوته ،وأنَّه لا يدرك إلا بالحسّ ،ولا يصدق إلا ما يشاهده معاينة ،فهذا الكافر لم يصدق أنَّ هناك حسابا وعقابا إلا حين عاين بنفسه العذاب ،في وقت لا يجدي فيه النَّدم ،وقد استعان النَّظم الكريم باسم الإشارة الدالّ على القرب ؛لأنَّه الأنسب بحاله وقد استبعد حصول العذاب في الآخرة ،فـ" اسم الإشارة مُشار به إلى الحالة الحاضرة لديهم أي هذا العذاب والجزاء هو ما كنتم تكذبون به في الدنيا " [2]

والاستحضار هنا ادِّعائي ؛لأنَّ الآخرة لم تقع بعد ،إنَّما استحضر النَّظم الكريم ما سيقال لهؤلاء الكفار الآثمين الذين نسوا لقاء ربهم ،وأنكروا البعث والحساب ،ليكون في قصّ حكايتهم عبرة لمن غرته عاجلته ونسي آخرته ،ففي الآيات تصوير لهذا المشهد الفظيع الذي يتناسب مع مقام الغافلين من الخلق من لدن آدم عليه السلام إلى يوم القيامة .

وقد مهَّد الخطاب في قوله تعالى ﴿ ❶➔ ❶①□☼ ❸❶ ❶➔ ❸❽ ❽❸ ↓ ✂ ❷☒ ❽❷ ❑⊗↖ ﴾ للاستحضار ؛لأنَّ الخطاب يوحي بحضرة المشار إليه .

الاستحضار هنا يجري ويتناسب مع ما يحكيه السِّياق ،حيث إنَّ السِّياق منطو على تصوير حالة التهكّم والتوبيخ التي تلحق بهؤلاء الكفار ،وكأنَّ الاستحضار حلقة من حلقاته ،فإنَّ الاستحضار أضفي على ما عرض له النظم الكريم من ذكر لصنوف العذاب التي لحقت بالكافر صفة الحسيّة ،وحينئذ يتجسَّم

(١) سورة الدخان : الآيات من ٤٧ : ٥٠

(٢) التحرير والتنوير ٢٥ / ٣١٦

العذاب في مُخيلة هذا الآثم ؛لأنَّ التعبير بالإشارة هنا يعني معاينة الكافر لهذا الوعيد الأليم .

وفي قوله تعالى :﴿ ﴾ حكاية عن حال المكذبين ،ومآلهم يستحضر النَّظم الكريم المشار إليه ،وهو النار ،عند قوله ﴿ ﴾ ،وهو استحضار تنزيلي ادعائي ،لأنَّه الأنسب بحال هؤلاء المكذِّبين ،الذين وصفهم النَّظم الكريم بأنَّهم ﴿ ﴾ وقد جاء التعبير بالموصولية ليوحي بأنَّ التكذيب أشهر أوصافهم التي يعرفون بها ،وأنَّه سِمة لازمة لهم ،ثمَّ جاء التعبير بالمضارع (يلعبون) ليصوِّر استمرارهم على اللعب زمانا طويلا ،وهكذا يرسم النظم الكريم صورة لاجترائهم على المعاصي والذنوب ،وذلك لانتفاء التصديق بيوم الدين .

فاستحضار صورة النَّار هنا في هذا المشهد المخيف الغرض منه التخويف ممَّا سيحصل لهؤلاء القوم المكذِّبين ،حيث تراه وقد جسَّد النَّار وقد أضرمت فيهم وقد آثر النظم الكريم اسم الإشارة للقريب ؛لأنَّه الأدعى أيضًا بحال هؤلاء المكذِّبين

(١) سورة الطور : الآيات من ١١ ـ ١٦

فقرب النار مع استحضارها فيه من التخويف ما لا يخفي ،فـ " الإشارة بكلمة (هذه) الذي هو للمشار إليه القريب المؤنث تومئ إلى أنهم بلغوها ،وهم على شفاها ، والمقصود بالإشارة التوطئة لمَا سيرد بعدها من قوله : ﴿ إلـــــــــى ﴾ (١) "

ثمَّ إنَّ النَّظم الكريم قد عرض لوصف النار بقوله ﴿ ﴾ وكأنَّها نار قد أعدّت لهؤلاء المكذبين خاصَّة وقد جاء التعبير بالكون (كنتم) ليبرز أنَّ التكذيب متأصِّل فيهم ،وهذا يعني طول زمان التكذيب فيهم .

هـــذا ، و " الموصـــول وصـــلته فـــي قولـــه ﴿ ﴾ لتنبيه المخاطبين على فساد رأيهم إذ كذبوا بالحشر والعقاب فرأوا ذلك عياناً " (٢)

هـــذا ،والاســـتفهام فـــي قولـــه تعـــالى : ﴿ ﴾ معناه " هل في المرئي شك أم هل في بصركم خلل ؟ استفهام إنكار أي لا واحد منها ثابت ،فالذي ترونه حق ،وقد كنتم تقولون إنه ليس بحق " (٣) وغرضه التبكيت ،كما كان الاستحضار في الآية الكريمة للنار أيضا وهذا من بالغ التبكيت والتقريع بهؤلاء المكذبين ،حيث أوحى استحضار المشار إليه بأنَّ

(١) التحرير والتنوير ٢٧ / ٤٣

(٢) التحرير والتنوير ٢٧ / ٤٣

(٣) تفسير الرازي ٢٨ / ٢١٢

المكذبين قد عاينوا النار بإلقائهم فيها بطريق الدفع بشدة ،وهو الذي عبَّر عنه القرآن الكريم بالدّع ،وصورته " أن تغلّ أيديهم إلى أعناقهم ،وتجمع نواصيهم إلى أقدامهم فيدفعون إلى النَّار " [١] ،وهذا لتصوير حال هؤلاء المكذبين " بأنَّهم خائفون متقهقرون فتدفعهم الملائكة الموكلون بإزجائهم إلى النار" [٢]

فاستحضار المشار إليه ،وهو النَّار ،مرتين أعان السِّياق على رسم صورة مُفزعة لهؤلاء المكذِّبين بيوم الحساب ،وفي الاستحضار تصوير للمشهد بصورة حيَّة ،وفيه تجانُس مع التبكيت والتوبيخ والتقريع الذي تحكيه الآيات الكريمة .

(١) تفسير أبي السعود ٨ / ١٤٧

(٢) التحرير والتنوير ٢٧ / ٤٣

الفصل الثالث

جريان استحضار المشار إليه على مقتضى الأصل ، وفق نماذج من البيان العالي

تسير الدِّراسة في هذا الفصل في إطار التطبيق على كون استحضار المشار إليه واقعا على سبيل الحقيقة ،من خلال تحليل بعض الأمثلة من البيان العالي ومحاولة التعرُّف على أمارات كون الاستحضار حقيقة ،مِن خلال النَّظر في تلك الشَّواهد ،وسياقها الذي وردت فيه .

ففي قوله تعالى : 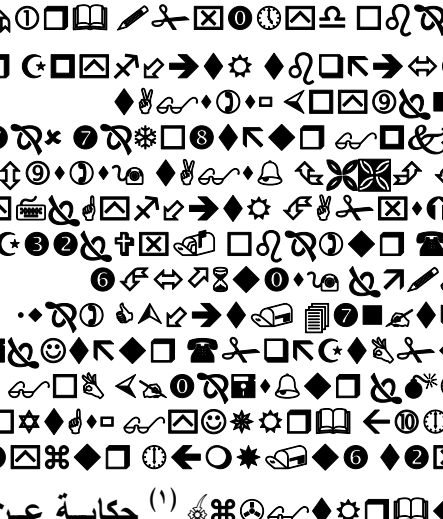 [1] حكاية عن دخول رجلين متخاصمين ،أو ملكين في صورتهما كما عند المُفسِّرين ،على سيدنا داود عليه السلام ،وكان استحضار المشار إليه حقيقة ؛ذلك لأنَّه " لمَّا فرغ الخصم الأول من كلامه ،نظر داود إلى الخصم الذي لم يتكلم ،وقال : لئن صدق لقد ظلمتَهُ "[2]

(١) سورة ص : الآيتان ٢٣ ، ٢٤

(٢) تفسير الرازي ٢٦ / ١٧٢

،والاستحضار فيه من إلزام المُدَّعي عليه وهو الأخ بمضمون الدَّعوى ما لا يخفي ،واستحضاره يوحي ببالغ إنكار المدعي على المدَّعي عليه ،وكأنَّ ما جرى من المدعي عليه أمر مُستبعد لا يقبل بحال من الأحوال ،إذ " لمَّا كانت هذه الدعوى بأمر مُستغرب ،يكاد أن لا يسمعه أحد إلا أنكره ،ساق الكلام مؤكَّداً فقال: (إن هذا) يشير إلى شخص مِن الداخلين "[1]

وممَّا يؤكد استحضار المشار إليه وهو المدَّعي عليه حقيقة : اعترافه ضمنا بظلم أخيه فور فصل سيدنا داود عليه السلام في هذه الخصومة الرَّمزية قال ابن الأنباري : لمَّا ادَّعى أحد الخصمين ،اعترف الثاني ،فحكم داود عليه السَّلام ،ولم يذكر الله تعالى ذلك الاعتراف لدلالة ظاهر الكلام عليه ، كما تقول أمرتك بالتجارة ،فكسبت ،تريد اتَّجرت فكسبت [2]

وممَّا يؤكِّد استحضار المشار إليه حقيقة حكاية السِّياق دخول الرَّجلين على سيدنا داود عليه السَّلام وطلبهما منه الفصل في الخصومة ،كما حكاه قوله تعالى

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للإمام برهان الدين البقاعي ١٦ / ٣٥٨ ـ ط : دار الكتاب الإسلامي بالقاهرة . د ت .

(٢) ينظر : تفسير الرازي ٢٦ / ١٧٢

إنَّ استحضار المُشار إليه حقيقة بين يدي داود عليه السلام كان الأنسب للسِّياق وهو يقصّ أمرا رمزيا لا وجود له الغرض منه إفهام سيدنا داود عليه السلام بما جرى منه في أدب جمّ ، كما حكاه النظم الكريم عند قوله تعالى :﴿ ﴾ فيكون استحضار المُشار إليه أدعى وأقرب إلى تصديق هذه القصَّة الرَّمزية التي كان لاستحضار بطليها ، وهما الرجلان ، أثرا كبيرًا في نقل أحداثها من عالم الخيال إلى عالم الواقع المحسوس المشاهد .

وفي قوله تعالى حكاية عن آلاء الله ودلائل قدرته ووحدانيته التي يجب أن يفرد بالعبادة لأجلها :﴿ ﴾[1]

كان استحضار المشار إليه وهو الله سبحانه وتعالى حقيقة ؛لأنَّ المشار إليه قد سبق الحديث عنه مِن خلال آثار الألوهية والربوبية من جعل الليل سكنا ،وخلق ضياء النهار ليطلب المرء معاشه ،وكونه الخالق لكلّ شيء يبصره الإنسان حوله ،ولأنه سبحانه وتعالى لجلاله العظيم من وجه ورحمته بعباده من وجه آخر

(١) سورة غافر : الآيات من ٦١ : ٦٣

حجب نفسه عنهم في دار الدنيا وجعلها لهم في الآخرة ،فـ " الإتيان في صدرها باسم الإشارة لتمييزه أكمل تمييز ؛لأنَّهم امتروا في صفة الإلهية وضلوا فيها ضلالاً مبيناً ، فكانوا أحرياء بالإيقاظ بطريق اسم الإشارة ،وللتنبيه على أن المشار إليه حقيق بما سيذكر بعد اسم الإشارة من حيث إنَّه اتَّصف بتلك الأوصاف التي أشير إليه من أجلها ،فإنَّ خالق العوالم بغاية الإتقان والمقدرة ومالك أمرها ومدبِّر شؤونها والمتصرِّف المطلق مستحقٌ للعبادة " (١)

فالمشار إليه حاضر هنا بآثاره التي يدركها من لا بصر له ،وهي ناطقة بوجوده واستحضاره هنا فيه الإيحاء بعظمته وأنه وحده المستحق للعبادة ،فما أبلغ الاستحضار في هذا السياق الذي يتحدث عن آلاء الله ودلائل قدرته الباهرة وشواهد وحدانيته التي من أجلها وجب على الخلق طُرًّا أن يخصُّوه وحده بالعبادة ،ولا يشركوا معه غيره من مخلوقاته ،فـ " لفظ الجلالة يستصحب كلّ صفات الجلال والكمال ،وهو حري بأن يُدعى ،وحري بأن تطلبوا منه كلّ شيء لأنَّه القادر على كل شيء ،ومانح كل شيء ،والمانح لأعظم النعم لخلقه قبل أن يعرفوه هو وحده الجدير بأن ترفع إليه الحاجات " (٢) فاستحضار المشار إليه إذا هو الأنسب لهذا السياق لما فيه من مزيد الحث على معرفة الخالق من خلال النظر في دلائل قدرته التي هي شاخصة أمام أعين الخلق طرا الطائع منهم والعاصي ،كما أنَّ الاستحضار يضع يد العاصي خاصة على هذه الشواهد ؛لأنه لا يعرف إلا المحسوس المشاهد ،وهو دائما في غفلة حينا ،وعتو حينا آخر ،وكأنَّه أعمى ،بل هو أعمى حقيقة ،فيحتاج

(١) التحرير والتنوير ١١ / ٨٨ ، ٨٩

(٢) آل حم غافر فصلت . دراسة في أسرار البيان . للدكتور محمد محمد أبو موسى ص ٢١٩ . ط : مكتبة وهبة . القاهرة . ط : أولى . ١٤٣٠ هـ . ٢٠٠٩ م .

دائما إلى من يقوده إلى هذه الشواهد ،فجاء التعبير بالإشارة لجميل موقعها ،ولأنَّها الأنسب بحاله .

هذا ، واسم الإشارة هنا مشرب بالتبكيت والتعجُّب من أولئك القوم الغافلين ؛لأنَّ بين أيديهم مِن المعالم والأمارات ما يدلهم على أنَّه الإله الحقّ ،فقد "عدل عن الضمير إلى اسم الإشارة لإفادة أنه تعالى معلوم متميز بأفعاله المنفرد بها ،بحيث إذا ذكرتْ أفعاله تميَّز عمَّا سواه فصار كالمشاهد المشار إليه ،فكيف تلتبس إلهيته بإلهية مزعومة للأصنام فليست للذين أشركوا به شبهة تلبس عليهم ما لا يفعل مثل فعله أي ذلكم ربكم لا غيره ،وفي اسم الإشارة هذا تعريض بغباوة المخاطبين الذين التبست عليهم حقيقة إلهيته "[1]

ويؤازر اسم الإشارة الاستفهام في قوله تعالى ﴿ في ختام الآيات الكريمة ؛لأنَّ دلالة الاستفهام هنا في هذه الآيات " مشربة معنى التعجُّب ممَّن يعاكس كلّ هذه الأدلة السَّاطعة ،ويرى هذه الحقائق النَّاصعة ،ثمَّ ينصرف إلى عكس ما توجَّه إليه " [2]

ثمَّ إنَّ مجيء اسم الإشارة هنا للبعيد فيه مناسبة مع حال هؤلاء القوم الذين يعبدون آلهة بعيدة عنهم ،والله في الحقيقة أقرب لهم منهم ،فهو سبحانه معهم حيث كانوا ،كما أنَّ التعبير باسم الإشارة للبعيد يبرز بعد الشبه بين هذا الإله الحقّ الخالق لكلّ هذه المخلوقات الشاخصة بين يديهم ،وبين تلك المعبودات الزائفة التي لا تملك شيئا .

(١) التحرير والتنوير ٢٤ / ١٨٧

(٢) آل حم غافر فصلت د محمد أبو موسى ص ٢٣٠

هذا ،وقد كان للتعبير بالإشارة فضل الإمساك بالأخبار الأربعة التي تلته وكأنَّ المعنى ذلكم الله ،وذلكم ربكم ،وذلكم خالق كل شيء ،وذلكم لا إله إلا هو، وقد " ابتدئ فيها بالاسم الجامع لصفات الإلهية إجمالا ،وأردف بـ (ربكم) أي : الذي دبر خلق ما هو خلق خاص بالبشر بأنَّه خالق الأشياء كلّها كما خلقهم، وأردف بنفي الإلهية عن غيره ،فجاءت مضامين هذه الأخبار الأربعة مُترتِّبة بطريقة التَّرقي " [1] ففي التعبير بالإشارة من تجسيد صفات الألوهية ما لا يخفي حتى يعود ذلك على نفس المنكر لهذه المعاني بالإذعان والإقرار بأنه الخالق المستحق للخضوع والعبادة ،ففي التعبير بالإشارة إذا مِن الإيجاز والتركيز ما لا يخفي .

وفي قوله تعالى حكاية عن قول الملأ من قوم فرعون :﴿ ﴾ [2]

كان استحضار المشار إليه وهو سيدنا موسى عليه السلام حقيقة ؛لأنَّ سياق الآيتين وارد في مقام المحاورة بين موسى وبين فرعون وملئه ،فالآيات قبل جسدت هذا الحوار عند قوله تعالى ﴿ ﴾

(١) التحرير والتنوير ٢٤ / ١٨٧

(٢) سورة الأعراف : الآيتان ١٠٩ ، ١١٠

(الآيات : ١٠٤ . ١٠٨) فحضور موسى بين يدي فرعون ومحاورته وإلقائه العصا بين يديه ونزع يده أمارات استحضار موسى على جهة الحقيقة ، ويؤكد ذلك الفصل بين قوله تعالى 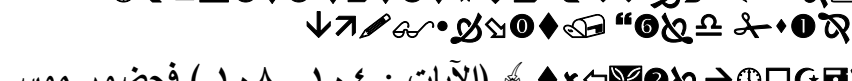 وما قبله ،وهذا يعني انتظام الكلام على طريقة المحاورة بما تعنيه المحاورة من حضور طرفين .

ثمَّ إنَّ استحضار موسى عليه السَّلام في هذا السِّياق يصوّر كيف أنَّ الملأ من قوم فرعون قد عَرَفوا موسى عليه السَّلام بسحره ،وكأنَّ الشيء الذي يتميَّز به موسى عليه السلام عندهم إنَّما هو السِّحر فحسب ،فالاستحضار يتناسب مع اعتقاد القوم وظنّهم الكاذب أيَّما تناسُب الذي أخرجه النظم الكريم في ثوب الحقيقة الجازمة ،حيث جاء قولهم مؤكَّدًا بإنَّ واسمية الجملة ،مع ما في الاستحضار من تصوير نكارة هؤلاء الملأ لموسى وحقارته عندهم ،وكيف لا يكونوا كذلك وهم خاصَّة فرعون ووزرائه ؟ .

في حين أشمّ من كلام الطاهر بن عاشور أنَّ الاستحضار هنا تنزيلي ادعائي ،وأراه قد جانبه الصَّواب ،ومرجع ذلك الاختلاف في ظنِّي اختلاف الزمان والمكان الذي قيل فيه هذا القول فابن عاشور ـ رحمه الله ـ يرى أنَّهم " إنَّما قالوا هذا الكلام على وجه الشورى مع فرعون واستنباط الاعتذار لأنفسهم عن قيام حجة موسى في وجوههم فاعتلوا لأنفسهم بعضهم لبعض بأن موسى إنما هو ساحر عليم بالسحر أظهر لهم ما لا عهد لهم بمثله من أعمال السحرة ، وهذا القول قد أعرب عن رأى جميع أهل مجلس فرعون ، ففرعون كان مشاركاً لهم في هذا ؛لأنَّ القرآن

حكى عن فرعون في غير هذه السُّورة أنَّه قال للملإ حوله ﴿ ﴾ وهذه المعذرة قد انتحلوها وتواطأوا عليها ، تبعوا فيها ملكهم أو تبعهم فيها ، فكل واحد من أهل ذلك المجلس قد وطَّن نفسه على هذا الاعتذار ،ولذلك فالخطاب في قوله ﴿ ﴾ خطاب بعضهم لبعض ،وهو حاصل من طوائف ذلك الملأ لطوائفَ يرددونه بينهم ،ويقوله بعضهم لبعض "[1]

ثمَّ كيف لا يكون الاستحضار هنا حقيقة والنَّظم الكريم قد حكى في هذا السِّياق بعثة سيدنا موسى عليه السلام إلى فرعون وملئه معا عند قوله تعالى

﴿ ﴾ ،وهذا يعني أنَّ الحوار الذي دار بين فرعون وملئه كان علانية ولم يكن سرًّا بينهم وبين فرعون ،وهذا يشي باستحضار موسى عليه السَّلام على مقتضى الأصل .

في غير سياق سورة الأعراف كان يمكن القول بأنَّ الاستحضار تنزيلي على خلاف مقتضى الأصل ؛لأنَّ سورة الأعراف من بين تلك السور الكثيرة التي عرضت لقصة موسى عليه السلام مع فرعون قد كان للملأ فيها وجود ظاهر ،وقد كان لهم عليه تأثير بالرأي والمشورة فقد حكى النظم عنهم توغيرهم صدر فرعون على موسى عند قوله تعالى : ﴿ ﴾

(١) التحرير والتنوير ٩ / ٤٢

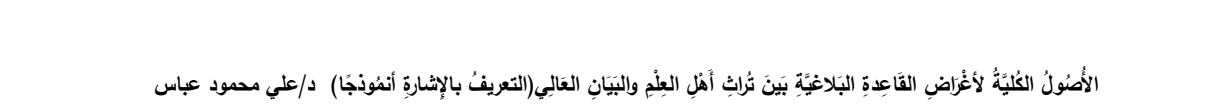

وانصياع فرعون لرأيهم ،واستجابته لنُصحهم

الكاذب بأن

،وحكى السِّياق أيضا ذكر الملأ مع قصص سيدنا نوح وعاد وثمود ومدين عليهم السلام .

وفي قول الراعي النميري [1] :

تَذَكَّرَ هَذا القَلبُ هِندَ بَني سَعدِ ∴ سَفاهاً وَجَهلاً ما تَذَكَّرَ مِن هِندِ

أَفي كُلِّ يَومٍ أَنتَ موفٍ فَناظِرٌ ∴ إِلى آلِ هِندٍ نَظرَةً قَلَّما تُجدي

تَذَكَّرتُ عَهداً كانَ بَيني وَبَينَها ∴ قَديماً وَهَل أَبقَت لَنا الحَربُ مِن عَهدِ[2]

تجد أنَّ استحضار المشار إليه ،وهو القلب ،يمكن أن يكون على مقتضى الأصل باعتبار أنَّ الشاعر يشير إلى موطن القلب وهو الصدر ،وكأنَّه يراه أمامه ويُمكن أن يكون الاستحضار هنا ادِّعائيا لاستبعاد أن يحدُث ذلك .

---

(١) هو عبيد بن حصين بن معاوية بن جندل النميري ،شاعر من فحول المحدثين ،ولقب بالراعي لكثرة وصفه الإبل ،عاصر جريرا والفرزدق ،وتوفي عام ٩٠ هـ . ينظر : الأعلام لخير الدين الزركلي . ٤ / ١٨٩ . ط : دار العلم للملايين . ط : الخامسة عشرة . ٢٠٠٢ م .

(٢) الأبيات من بحر الطويل . ينظر : ديوان الراعي النميري . تح : راينهَرت فَايبَرت ص ٧٤ . ط : فرانتس شتاينر بفيسبادن . المعهد العالي للأبحاث الشرقية . بيروت . ١٤٠١ هـ - ١٩٨٠ م .

واستحضار الشاعر هنا للقلب وحده يغني عن حديثه عن الصَّبابة والشَّوق والحنين فاستحضاره يرمز إلى كلّ هذه المعاني التي جاشت في فؤاده ؛لأنَّ الحديث عن هذه المعاني في نظر الشاعر من الجهل والسفه ؛لأنه لا ينبغي له أن يتذكر محبوبته هند ،وبين قومه وقومها معارك طاحنة .

وفي استحضار المشار إليه ،وهو القلب ،تناسب مع العتب والمؤاخذة التي يوجهها الشاعر لقلبه ، فمقام العتاب يلائمه أن يكون المعاتِب والمعاتَب حاضرين فبين الاستحضار والغرض منه تناسُب بيِّن .

ثمَّ إنَّ استحضار المُشار إليه ،وهو إبليس ،في قوله تعالى :

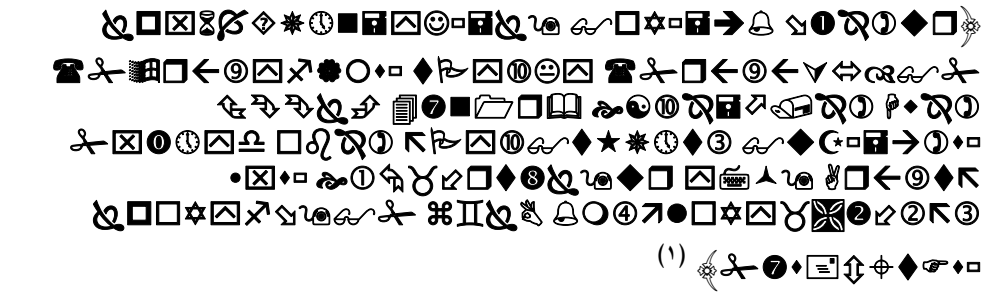

كان أيضا حقيقيا على مقتضى الأصل ،وكان الداعي لهذا الاستحضار هو المبالغة في تحذير سيدنا آدم عليه السلام ،وتنبيهه من عدوه إبليس ،فاستحضاره فيه تجسيد لهذه العداوة وكأنَّها حاضرة أمامه ،ولأنَّ السِّياق سياق إنعام لآدم عليه السلام يمثله إرادة الله حفظ آدم من الغواية حسُن الاستحضار وتناسب مع السياق ؛لأنَّ الاستحضار يرمز إلى مزيد لطف الله ورحمته بنبيه آدم عليه السلام ،فكأنَّ الله سبحانه وتعالى قد أراه العداوة حسًّا حتى يبالغ آدم في حذره من عدوه إبليس إلا أنه عليه السلام قد نسي عهد ربه ؛فأخرج من الجنة .

(١) سورة طه : الآيتان ١١٦ ، ١١٧

وفي استحضار إبليس دون وسمه تمييز له أكمل تمييز ، وفيه من التناسُب مع سياق الإنعام الذي تؤسس له هذه الآيات الكريمة ؛ذلك لأنّ الاستحضار أغنى عن الوصف ،فلم يشأ النظم الكريم أن يكدّر صفو الإنعام بما يحكيه عن إبليس اللعين ، فآثر استحضار المشار إليه فحسب .

سياق الآيات الكريمة يؤكِّد حُضور إبليس بين يدي آدم عليه السَّلام ،وأنَّ الاستحضار كان على مُقتضى الأصل ؛لأنَّ الآيات تحكي مشهد مثول إبليس بين يدي ربه للسجود لآدم عليه السَّلام عند قوله تعالى : ﴿ ⬂❶✍◑◆❒ ♎❒☒⌛✍⬦✵⏲■◙◿☺▫◙♎♍ ☎✂▦❑←⑨◿✗✽❍⬩▫ ⧫🏱◿⑩☹◿ ☎✂❒←⑨←⬃⇔♒☞✂ ◑✍⧫⁉ ◑✍◿⚐◙✍⑩◐☙ 🕮❒🗁■❼🗐 ﴾ وأعقب النظم الكريم أمر إبليس بالسجود وامتناعه بتحذير سيدنا آدم عليه السلام من إبليس وعداوته له .

هذا ،ولمَّا كان استحضار المشار إليه لآدم عليه السلام خاصَّة ناسب أن يُنسب إليه الشقاء خاصة دون زوجه في خاتمة الآية الكريمة .

وفي قول عنترة ،وهو مطلع قصيدة له في الغزل :

هــذِه نـــارُ عبلـــة يـــا نـــديمي ∴ قـد جلـتْ ظلمــةَ الظَّـلام البهـيم

تتلظَّـــى وَمثْلُهـــا فـــي فـــؤادي ∴ نـــارُ شَـــوْق تــزْداد بالتَّضــريم (١)

يُمكن أن يكون استحضار المشار إليه ،وهو النار ،حقيقيا جاء على مقتضى الأصل ،إذا ما ادَّعينا أنَّ الشاعر استحضر هذه النار ،وهي قريبة منه يبصرها بعينيه ،حيث جاء في القصيدة ما يشير إلى أنَّ محبوبته قد أضرمت هذه النَّار حقيقة ،وذلك عند قوله عنها عند البيت الثالث من القصيدة :

(١) البيتان من الخفيف التام . ينظر : ديوان عنترة ص ٧٥ . ط : المكتبة الجامعة . خليل الخوري . بيروت . ١٨٩٣ م .

أَضْـرمَتْها بيضــاءُ تهْتــز كــالْغُصْنْ ∴ ن إذا مــا انثنــى بمــرِّ النســيم

ويُمكن أن يكون الاستحضار هنا للنار ادِّعائيا على خلاف مقتضى الأصل إذا ما ادَّعينا أنّ الشاعر قد استحضر هذه النار في عقله ،حيث كان هناك يُعاقر الخمر مع نديمه الذي خاطبه في مطلع القصيدة بقوله :

هــذِه نــارُ عبلــة يــا نــديمي ∴ قــد جلــتْ ظلمــةَ الظَّــلام البهـيم

ولاسيَّما قد ذكر الشَّاعر الخمر في القصيدة ،وذكره ربما يوحي بتواجد الشاعر في حانة الشراب ،من مثل قوله :

كاعِــبٌ ريقُهــا أَلَــذُّ مِــنَ الشَــه ∴ دِ إذا مــا زَجَتــهُ بِنــتُ الكُــرومِ

ويكون ذكر النَّار ما هو إلا تجسيد لما يشعر به الشاعر تُجَاه محبوبته (عبلة) ،ثمَّ اقرأ قوله عند البيت التاسع من القصيدة :

وَاتِّكــالي عَلــى الــذي كُلَّمــا أَب ∴ صَــرَ ذُلّــى يَزيــدُ فــي تَعظيمــى

تدرك أنَّ النَّار التي يعنيها الشَّاعر هي نار الشوق والحنين إلى لُقيا المحبوب ،وليست نارًا مبصرة ،إنَّما هي نار يشعر بحرِّها واستعارها في كبده وفؤاده .

فاستحضار عنصر النار في القصيدة ما هو إلا استحضار وتجسيد لمَا يجده الشاعر وما يحسّ به في كبده وفؤاده ،وهو عنصر استطاع الشَّاعر أن يوظِّفه في القصيدة توظيفًا جيدًا حيث جعل النار مدخله لوصف أوجاعه وآلامه وقد كان للنار وجود بارز مِن بين مفردات القصيدة ،حيث ترى الشاعر قد اتكأ عليها ،واستحضرها في غير موطن ،من مثل قوله :(تتلظَّى) وقوله : (نارُ شَوْق تزْداد بالتَّضريم) وقوله :

كلمــا ذُقــتُ بــارداً مــن لَماهــا ∴ خلتــهُ فــي فمــي كَنــار الجحــيم

فالمشار إليه كما ترى ،وهو النار ،أهمّ عنصر في القصيدة .

الفصل الرابع

جريان استحضار المشار إليه على خلاف مقتضى الأصل ، وفق نماذج من البيان العالى

وفي هذا الفصل يجري التطبيق أيضا على عدة شواهد يكون الاستحضار فيها خارجا على سبيل الادِّعاء والتنزيل منزلة الحقيقة .

ومن خِلال النَّظر في أمثلة استحضار المُشار إليه نجد أنَّ الكثير من الأمثلة يكون الاستحضار فيها خارجا على خلاف مقتضى الأصل ؛لأنَّ المُشار إليه في الغالب غير موجود ،إنَّما يُستحضَر لبلاغة الاستحضار ذاته ناهيك عن ما في الاستحضار من لفتات بيانية ،وهي كثيرة تأتي مقترنة به ،ويتدبَّرها صاحب كلّ ذي بيان ،وكأنَّ لكلّ شاهد على حِدة دقائقه ورقائقه .

فالأصل في الإشارة أن تكون إلى ذات مشاهدة معينة إلا أن العرب قد يخرجون بها عن الأصل فتعود إلى ذات مستحضرة من الكلام بعد أن يذكر من صفاتها وأحوالها ما ينزلها منزلة الحاضر في ذهن المتكلم والسامع ، فإن السامع إذا وعَى تلك الصفات وكانت مهمة أو غريبة في خير أو ضده صار الموصوف بها كالمشاهد ، فالمتكلم يبنى على ذلك فيشير إليه كالحاضر المشاهد ، فيؤتى بتلك الإشارة إلى أنه لا أوضح في تشخصه ، ولا أغنى في مشاهدته من تعرف تلك الصفات ، فتكفي الإشارة إليها ، هذا أصل الاستعمال في إيراد الإشارة بعد ذكر صفات مع عدم حضور المشار إليه [1]

ففي قوله تعالى مثلا :

(١) التحرير والتنوير ١ / ٢٤١

كان استحضار المُشار إليه وهو الدَّار الآخرة [1] (الجنة) خارجا على سبيل الادعاء ؛ذلك لأنَّ المشار إليه لما يقع بعد ،وإنَّما استحضره النَّظم الكريم لأنَّ الاستحضار فيه "تعظيم لها ،وتفخيم لشأنها ،يعني تلك التي سمعت بذكرها ،وبلغك وصفها " [2] وقد "نزل لشهرته منزلة المحسوس المشاهد" [3] فيتناسب الاستحضار المراد منه التعظيم مع السِّياق الذي يحثّ على الزهد في طلب الدنيا ،حيث يفيد الاستحضار هنا مع التعظيم قرب الجنة من أهل الصلاح والتقوى ،وفي الاستحضار أيضا مزيد من التَّشويق والإثارة والإلهاب لها ،ففي الاستحضار معنى المعاينة والمشاهدة الحسيّة ،فيجتهد أهل الطاعة في طاعتهم ،أملا في هذا النعيم الذي كأنَّهم شاهدوه بأبصارهم .

ثمَّ إنَّ الاستحضار يتناسب مع السياق القبلي لهذه الآية الكريمة والذي حكى النظم الكريم فيه خروج قارون على قومه بني إسرائيل في زينته عند قوله تعالى :

(١) سورة القصص : آية ٨٣

(٢) تفسير الرازي ٢٥ / ١٨

(٣) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني للألوسي . ٢٠ / ١٢٥ . ط : دار إحياء التراث العربي – بيروت .

﴿ ﴾ فكان حريًّا بالنظم الكريم أن يستحضر الجنة ليتيقن أهل الصلاح والتقوى أنَّ ما أعدَّه الله لهم من النعيم خير وأبقى ممَّا أبصروه مِن زينة على فرعون ،فقد ذكرت كتب التفسير . وأظنها قد تغالت . خروج قارون على قومه خروجا لا يُوصف حتى تمنَّاها مُريدو الحياة الدنيا فاستحضار الدَّار الآخرة بينه وبين خروج فرعون على بني إسرائيل في زينته تقابُل واضح .

هذا ،وفي الاستحضار هنا استشراف للمشار إليه هنا ،يقول الطاهر "ابتدئ الكلام بابتداء مشوق ،وهو اسم الإشارة ،إلى غير مذكور من قبل ليستشرف السامع إلى معرفة المشار إليه ،فيعقبه بيانه بالاسم المعرف باللام الواقع بيانا أو بدلا من اسم الإشارة " [1] وهنا يتمكَّن المُشار إليه في الذِّهن فضْل تَمكُّن ،إذ فيه تعبير من طريقين : الأول مُبهم ،وهو اسم الإشارة ،والثاني فيه وضوح وجلاء .

وفي قول عمر بن أبي ربيعة من قصيدة بلغت سبعة عشر بيتا يحكي فيها ما خطر بباله ،وقد استهلَّها بقوله :

خطرتْ لذات الخال ذكرى بعدما ∴ سَلَكَ المَطِي بِنَا عَلَى الأَنْصَابِ

وفيها يقول عند البيت التاسع من القصيدة :

ما أنسَ لا أنسَ غداةَ لقيتها ∴ بِمنًى تُرِيدُ تَحِيَّتي وَعِتَابي

وتلددي شهراً أريدُ لقاءها ∴ حَذِرَ العَدُوِّ بِسَاحَةِ الأَحْبَابِ

تِلْكَ التي قَالَتْ لِجَارَاتٍ لَهَا ∴ حورِ العيونِ كواعبٍ أترابِ

(١) التحرير والتنوير ٢٠ / ١٨٩

هَــذَا المُغِيــرِي الــذي كُنَّــا بِــهِ ∴ نَهْـذِي وَرَبِّ البَيْـتِ يَـا أَتْرَابِـي [1]

تجد أنَّ استحضار المشار إليه وهو المحبوبة " تلك التي قالت .. " جاء على خلاف مقتضى الأصل ،فالمحبوبة لم تكن حاضرة بالجسد وقت إنشاد الشاعر لهذه القصيدة ،إنَّما استحضرها الشاعر في عقله وخياله مجسِّدا هذه اللحظات الطيبة التي خطرت بباله وفؤاده وقد ضمَّت حبيبا تلدد الشاعر شهرا محاولا اللقاء والأنس برؤياه ،فالسِّياق منذ مطلع القصيدة يوحي بأنَّ الاستحضار هنا جار على خلاف مقتضى الأصل .

ثمَّ إنَّ الشاعر قد استحضر المحبوبة بعد وداعها وفراقها ،حيث صورت الأبيات قبل موقف الوداع والفراق ،حيث كان الدمع هناك يسيل مهراقا ،وذلك عند قوله في البيت الثالث من القصيدة :

فانهـلّ دمعـي فـي الـرداء صـبابةً ∴ فَسَــتَرْتُهُ بِــالْبُرْدِ دونَ صِــحابي

فَــرَأَى سَــوابِقَ عَبْــرَةٍ مُهْرَاقَــةٍ ∴ عَمْـرُو فَقَـال بَكَـى أَبـو الخَطَّـاب

فمريــتُ نظرتــهُ وقلــتُ أصــابني ∴ رمــدٌ فهــاجَ العــينَ بالتســكابِ

لَــمْ تَجْــزِ أُمُّ الصَّــلْتِ يَــوْمَ فِرَاقِنَــا ∴ بـالخيفِ موقـفَ صـحبتي وركـابي

هذا ،وقد أغنى الاستحضار هنا عن وصف المحبوبة ،فالقصيدة لم تعرض لوصف هذه المحبوبة من قريب ولا من بعيد ،وكيف يصفها هنا وهي أمامه يرنو إليها ؟ بل أرى أنَّ اكتفاء الشاعر بالاستحضار دون الوصف أطلق خيال القارئ

(١) الأبيات من بحر الكامل التام . ينظر ديوان عمر بن أبي ربيعة ص ٢٣ ـ ط دار القلم . بيروت . من دون تاريخ .

يسبح بعيدا في عالم فسيح وهو يحاول أن يصف هذه المرأة التي فعلت بهذا الفتى العاشق كل هذا الألم واللوعة .

وقول المحبوبة لجارات لها : "هذا المغيري " إشارة إلى الشاعر هو أيضا استحضار لحديث المحبوبة مع هؤلاء النِّسوة ،فهو استحضار على خلاف مقتضى الأصل ؛لأنَّه حديث جرى مضى زمانه ،وبقيت في نفس الشاعر ذِكراه .

وفي قوله تعالى :﴿ ﴾ [1] كان استحضار المشار إليه ،وهو الرَّسول الكريم صلَّى الله عليه وسلَّم أو القرآن على قول بعض المفسرين ،ادِّعائيا

---

(١) سورة يونس : آية : ٢

قرأ ابن كثير وأهل الكوفة ﴿ ﴾ بالألف قوله إن هذا إشارة إلى المرسل وحجتهم قوله ﴿ ﴾ فقال الكافرون إن هذا يعني النبي صلى الله عليه لساحر مبين ، وقرأ الباقون : (سحر مبين) بغير ألف يعنون القرآن ،وحجتهم أن السحر يدل على الساحر ؛لأن الفعل لا يكون إلا من فاعل ،والساحر قد يوجد ولا يوجد معه السحر . ينظر : حجَّة القراءات لعبد الرحمن بن محمد بن زنجلة أبو زرعة . تح : سعيد الأفغاني . ص ٣٢٧ . ط : مؤسسة الرسالة – بيروت . ط : ثانية . ١٤٠٢ هـ . ١٩٨٢ م .

على خلاف مقتضى الأصل ؛لأنَّ كلام الكفار ـ كما حكاه النظم الكريم ـ خارج على سبيل التعجُّب ،تعجُّبا ربَّما يصل إلى الاستبعاد والإنكار والتكذيب ،فإنَّ "الكافرين لمَّا جاءهم رسول منهم ،فأنذرهم وبشَّرهم ،وأتاهم من عند الله تعالى بما هو اللائق بحكمته وفضله ،قالوا متعجِّبين : ﴿·♍♑◑ ♎◻◷⓿☒✁ ◉♒⬩○❁◷⬩⬁❷⮚☒ ✌⓾⌨♑✓×➘﴾ أي : إنَّ هذا الذي يدَّعي أنَّه رسول هو ساحر " (١)

إنَّ استحضار الكافرين للمُشار إليه فيه مِن المبالغة في الاستهزاء بالرسول ،وكأنَّ السحر باد عليه ،وأنَّهم عرفوه لوضوحه أمامهم ؛ذلك لأنَّه بلغ النهاية في الظهور والوضوح فأي ظهور أوضح من كونه محسوسا مشاهدا .

هذا ،وقد جاء خبر الاستحضار في موقع التذييل : ﴿·♍♑◑ ♎◻◷⓿☒✁ ◉♒⬩○❁◷⬩⬁❷⮚☒ ✌⓾⌨♑✓×➘﴾ مؤكَّدا بغير مؤكِّد ليبرز النَّظم الكريم ادِّعاءهم الكاذب في ثوب الشيء الثابت المُحقَّق الوقوع ،وتأكيده يتناسب مع الاستحضار أيَّما تناسُب فلم لا يأت الخبر مؤكَّدا ما دام السحر قد نزل عند هؤلاء الكفار منزلة المحسوس المشاهد وفي التأكيد بإن واللام واسمية الجملة كذلك "إشارة إلى رسوخهم في الكفر ،وإلى أنَّهم مع وضوح الأدلة على صدق الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ لم يزدادوا إلا جحودا وعنادا " (٢)

وممَّا يؤكِّد كون الاستحضار ادعائيا على خلاف مقتضى الأصل وقوع جملة الإشارة حكاية عن قول الكفار ، فحين " بعث الله تعالى محمداً صلى الله عليه وسلم رسولاً أنكرت الكفار وقالوا : الله أعظم من أن يكون رسوله بشراً مثل محمد ،فأنزل

---

(١) تفسير الرازي ١٧ / ٧

(٢) التفسير الوسيط للقرآن الكريم ـ تفسير سورة يونس عليه السلام ـ د محمد سيد طنطاوي ٧ / ٢٥ ـ ط : الرسالة ـ القاهرة ـ ط : ثانية ـ ١٤٠٦ هـ ـ ١٩٨٦ م .

الله تعالى هذه الآية " [1] ولا يوجد في السِّياق القرآني ما يدل على حُضور سيدنا محمد عليه السلام بينهم كأنْ يكون الكلام مثَلًا خارجًا في سياق المُحاورة بينه وبينهم .

هذا ، وقد تناسب كون الاستحضار خارجًا على سبيل التعجُّب والتهكُّم مع إيثار لفظ الإشارة للقريب ؛إذ إنَّ لفظ الإشارة الدالّ على القُرب يشي عند هؤلاء الكفَّار بالابتذال ،وفي هذا من المُبالغة في تحقيره وتوبيخه ما لا يخفي .

وفي قول عنترة من قصيدة له جاءت في وصف شوقه وحنينه إلى محبوبته (عبلة) :

أَحِنُّ إلى تلكَ المنازلِ كلّما ∴ غدَا طائرٌ في أيكَةٍ يترَنَّمُ

بكيتُ من البيْنِ المُشِتِّ وإنني ∴ صبورٌ على طعن القنا لو علمتُم [2]

تجد أنّ استحضار المُشار إليه يجسِّد شوق الشاعر وحنينه الدائم إلى منازل محبوبته (عبلة) تلك المنازل التي تباعدت عن الشاعر لكنَّه يتخيَّلها ويستحضرها لمزيد شوقه في عقله وعينه ،وكأنَّها شاخصة أمامه وهو يشير إليها فهو استحضار ادِّعائي على خلاف مقتضى الأصل .

هذا ،وقد استحضر الشاعر منازل محبوبته عبلة عن طريق اسم الإشارة للبعيد (تلك) الذي يتناسب مع تباعد هذه المنازل عنه .

ثمَّ إنَّ القصيدة قد اشتملت على ما يؤكِّد أنَّ الاستحضار ادِّعائي ،حيث جاء فيها ما يدلّ على عدم لقائه بعبلة ،وهذا يعني عدم رؤيته لهذه المنازل التي تباعدت ،من مثل قوله :

---

(١) لباب النقول للسيوطي ص ١٢٨

(٢) البيتان من الطويل . ينظر : ديوان عنترة ص ٧١

وأرجـو التـداني منـكِ يـا ابنـة مالـكٍ ∴ ودونَ التَّـداني نـارُ حَـرْبٍ تُضَـرَّمُ

فمنـي بطيـفِ مـن خيالـكِ واسألـي ∴ إذا عـادَ عنـي كيـفَ بـاتَ المتـيَّمُ

ولا تَجْزَعـي إنْ لَـجَّ قَوْمُـكِ فـي دَمـي ∴ فمـا لـي بعْـدَ الهجـرِ لَحـمٌ ولا دَمُ

وفـي قولـه تعـالى : ﴿ [illegible] ﴾ (١)

---

(١) سورة الأحزاب : آية ٥٣

جاء في سبب نزول هذه الآية الكريمة : ما رواه أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما تزوَّج زينب بنت جحش أولم عليها ،فدعا الناس ،فلما طعموا قعد نفر في طائفة من البيت ؛فثقل ذلك على النبي صلى الله عليه وسلم ،فخرج ليخرجوا بخروجه ومر على حجر نسائه ثم عاد فوجدهم في مكانهم فانصرف فخرجوا عن ذلك وقال ابن عباس نزلت في قوم كانوا يتحينون طعام النبي صلى الله عليه وسلم فيدخلون عليه قبل الطعام فيقعدون إلى أن يطبخ ثم يأكلون ولا يخرجون فأمروا أن لا يدخلوا حتى يؤذن لهم وأن ينصرفوا إذا

تجد أنَّ استحضار المشار إليه ،وهو الاستئناس للحديث بعد الفراغ من الطعام عند قولـــــــــــــــه تعـــــــــــــالى ﴿ ﴾ ،ادِّعائي جاء على خلاف مقتضى الأصل فإن نزول الآية الكريمة كان عقب الاستئناس للحديث ،فالمشار إليه وهو الاستئناس للحديث له مقصد مُهمّ عناه النظم الكريم وقصده وهو المبالغة في تحذير القوم وتعنيفهم حيث جسَّد الاستحضار أمام أعينهم ما لم يحسبوه أذى وهو الاستئناس للحديث ، ولذا فإن النظم الكريم قد أقحم الفعل الماضي كان "لإفادة تحقيق الخبر ،وصيغ (يؤذي) بصيغة المضارع دون اسم الفاعل لقصد إفادة أذى متكرر ،والتكرير كناية عن الشدة " [1] فالاستحضار ،والفعل الماضي (كان) الدال على تحقق الفعل من هؤلاء القوم ،وفيه أيضا " إشارة إلى تحمُّل النبي عليه السَّلام " [2] ،وصيغة المضارع الدالة على تكرار فعل الإيذاء ،تآزرت جميعا على تصوير بالغ ما لحق بالنبي الكريم من أذى كان سببه استئناس القوم بالحديث في بيوت النبي الكريم محمَّد صلى الله عليه وسلم عقب الفراغ من

أكلوا ،قلت والقول الأول أشهر ،وقول ابن عباس أليق بما في الآية من النهي عن الدخول حتى يؤذن لهم ،فعلى قول ابن عباس في النهي عن الدخول حتى يؤذن لهم والقول الأول في النهي عن القعود بعد الأكل فإن الآية تضمَّنت الحكمين . ينظر : التسهيل لعلوم التنزيل لمحمد بن أحمد الغرناطي الكلبي . ٣ / ١٤٢ . ط : دار الكتاب العربي . لبنان . ط : رابعة . ١٤٠٣ هـ . ١٩٨٣م .

(١) التحرير والتنوير ١٢ / ٨٦

(٢) تفسير الرازي ٢٥ / ١٩٤

الطعام الذي يلزم عنه وجوب امتثال المخاطبين بالنداء ،وهم المؤمنون ،بمضمون النداء .

ثـــمَّ إنَّ الإشـــارة بـــذلكم فـــي قولـــه تعـــالى : ﴿ 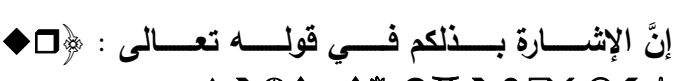 ﴾ إلـى المـذكور ،أي السُّؤال المُقيَّد بكونـه من وراء حجاب ،واسم التفضيل في قوله : (أطهر) مُستعمل للزيادة دون التفضيل" [1] وهو استحضار ادِّعائي أيضا ؛ذلك لأنَّ الاستحضار مبني على تحقُّق الشَّرط ،فحيث وقع السؤال مِن وراء حجاب حصل الطُّهر الكامل للقلوب المُشار إليه بذلكم .

ثمَّ إنَّ تعلُّق استحضار المشار إليه بالنفي المُشدَّد (ما كان) ،وهي من صيغ شدة التحريم [2] في قوله تعالى : ﴿ ﴾ فيـــه الدَّلالـــة علـــى أنَّ الاستحضار هنا ادِّعائي لأنَّ المنفي والمنهي عنه هو نفسه المشار إليه ،وهو إيذاء الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم ونكاح أزواجه . رضي الله عنهنَّ . بعد وفاته ،أمر يستحِيل على المؤمنين الأطهار حصوله ولاسيَّما أنَّ أصحابه الكرام . رضوان الله عليهم . كانوا أبعد النَّاس عن إيذائه اللهمَّ إلا ما وقع من دون قصد .

(١) التحرير والتنوير ٢٢ / ٩٠

(٢) ينظر : التحرير والتنوير ٢٢ / ٩٢

هذا ،وتكرار اسم الإشارة في الآية الكريمة ثلاث مرات بما يصاحبه اسم الإشارة من استحضار المشار إليه الغرض منه تمييز المشار إليه أكمل تمييز ،حتَّى لا يغيب عن بال المخاطب ،وهو أمر يفهم منه هنا في هذا السياق بالغ التنبيه ،وشدة الخطورة ،وأنَّ الأمر المشار إليه ممَّا ينبغي التنبُّه له ،وفيه أيضا تمشٍ " مع طريقة القرآن في تكرار الإشارة إلى الحقائق التي يلمس بها القلب البشري ؛لأنَّ فطرة هذا القلب تحتاج إلى تكرار التنبيه ؛فهو ينسى إذا طال عليه الأمد؛ وهو يحتاج ابتداء إلى التكرار بطرق شتَّى لتثبيت أية حقيقة شعورية فيه والقرآن يأخذ هذا القلب بما أودع في فطرته من خصائص واستعدادات ،وفق ما يعلم خالق هذا القلب ومصرفه بما يشاء " (١)

هذا ،وفي قول عنترة :

عبثتْ بها الأيامُ حتى أوثقت ∴ أيدي البِلى تحْتَ التُّرابِ قيودها
فكأنَّما تلكُ الجسومُ صوارمٌ ∴ تحت الحمامِ من اللحودِ غمودها
نَسَجَتْ يَدُ الأَيّامِ مِنْ أكْفانَها ∴ حلاً وألقتْ بينهنّ عقودها (٢)

والأبيات من قصيدة يرثي فيها تماضر زوجة الملك زهير بن جزيمة العبسي حيثُ استهلَّها الشَّاعر بقوله :

جازتْ ملماتُ الزَّمانِ حدودها ∴ واسْتَفْرغَتْ أيَّامُها مجهُودَها
وقضت علينا بالمنونِ فعوَّضتْ ∴ بالكرهِ مِنْ بيضِ الليالي سُودها
بالله ما بالُ الأَحبَّةِ أعْرضَتْ ∴ عنَّا ورامتْ بالفراقِ صُدودها

(١) في ظلال القرآن لسيد قطب ٥ / ٣١٠٧ . ط : دار الشروق . القاهرة . د ت .
(٢) الأبيات من الكامل التام . ينظر : ديوان عنترة ص ٣٠

وفيها تقرأ عند البيت الرابع عشر وما يليه من القصيدة :

شـقّتْ علـى العَليـا وفـاةُ كريمـة ∴ شـقّتْ عليهـا المكْرمـاتُ بُرُودهـا

وعزيـزَةٍ مفْقـودةٍ قـد هوَّنـتْ ∴ مُهَـجُ النّوافـلِ بعـدها مفقُودَهـا

ماتـتْ ووُسِّـدَتِ الفَـلاَةَ قتيلـةً ∴ يـا لهْـفَ نفسِـي إذْ رأتْ توْسـيدَها

جاء استحضار المشار إليه عند قوله :

فكأنمـا تلـكُ الجسـومُ صـوارمٌ ∴ تحـت الحمـامِ مـن اللحـودِ غمودهـا

وقد كان الاستحضار ادعائيا على خلاف مقتضى الأصل ،واستحضار المشار إليه هنا مكَّن الشاعر من تصوير خلجات النفس ،وكان طريقه الأول في تجسيد بالغ الحزن الذي أصاب الملك ،وعند استحضار المشار إليه وهو الجسوم تحت الموت تلمس أنَّ التوجُّع أخذ شكًلا مختلفا ،حيث استطاع الشاعر عنده أن يوغل في تصوير لوعة هذا الفراق ،وكأنِّي بالشاعر عند هذا البيت تلك المرأة

التي يلتف النِّساء حولها ،وقد فقدن عزيزا ،وقد أنشدت أمامهن ما ينفطر له القلب ،ويحترق له الكبد السَّليم ،ويتوقَّد له الحشا والضُّلوع ،وكيف وقد قيل : "على فراق المألوف حرقة لا تدفع ،ولوعة لا تردّ " [1] ،ولأنَّ الاستحضار هنا ادِّعائي تجد الشَّاعر قد آثر اسم الإشارة للبعيد (تلك) ،وهو الأنسب للسياق ؛إذ إنَّ اسم الإشارة للبعيد يتناغى مع مقام اللوعة والتحسُّر على فراق الأحباب .

هذا ،والتشبيه في قول الشاعر :" فكأنَّما تلكُ الجسومُ صوارمٌ تحت الحمامِ " تتناغى مفرداته وعناصره كذلك مع مقام الفراق والأسى ،حيث ترى الشاعر قد جنح إلى عناصر قاتمة في هذه الصورة الحزينة (الجسوم ،صوارم ،تحت الحمام اللحود،غمودها) ،ثمَّ تأمَّل قوله : (تحت الحمام) وما فيه من تصوير سطوة الموت وقبضته ،وكأنَّ الجسوم فريسة له ،وهو تصوير يبعث في النفس الحزن والألم وذكر الصوارم وصفا لهذه الجسوم تحت الموت يترجم عنصرا من عناصر القوة والشدة ،فالحزن في هذه القصيدة لم يُبنَ على الضعف والتهالُك ،وإنَّما تشمّ فيه رائحة الشِّدة والتماسُك ،وإنْ شئتَ فاقرأ قوله آخر القصيدة عند البيت السابع عشر ،وما يليه من القصيدة :

يا قَيْسُ إنّ صدُورَنا وَقَدتْ بها ∴ نارٌ بأَضْلُعنا تَشُبُّ وقودَها

فانهضْ لأخذِ الثأرِ غير مقصِّر ∴ حتى تُبيد من العداةِ عديدها

ثُمَّ إنَّ الشاعر قد جعل للحد غمدا كي يتناغى ذكر الغمد مع ذكر الصوارم فبين الألفاظ تناد وتناغم وتجانس .

(١) الكامل لمحمد بن يزيد المبرد . تح د/ محمد أحمد الدالي ٣ / ١٣٧٦ . ط : مؤسسة الرسالة . ط : ثانية . ١٤١٢هـ . ١٩٩٢م .

فالشاعر استطاع أن يُصوِّر ما اختلج فؤاد الملك زهير بن جزيمة وصدره من خلال هذه الصورة المُستحضرة على سبيل الادِّعاء ،واستطاع الشاعر بحرفيَّة عالية أن يُوظِّف استحضار المُشار إليه لخدمة الغرض الذي قصد إليه الشاعر ،حيث كان الاستحضار مدخله الرئيس لتصوير زفرات الحزن التي أصابت الكبد والفؤاد ذلك لما يمتلكه الاستحضار من طاقة هائلة على تصوير الغائب البعيد في صورة الحاضر المشاهد .

وفي قول جرير يهجو :

إذا قيلَ أي النـاسِ شرٌّ قبيلة ∴ وأعظمُ عاراً قيلَ تلكَ مُجَاشعُ [1]

تدرك ما للاستحضار من قدرة فائقة على المبالغة في تصوير قبح هذه القبيلة (مجاشع) والاستحضار هنا ادعائي ،حيث إنَّ استحضار المشار إليه في معرض الذم والهجاء يعني أنَّ هذه القبيلة عرفت بالشر والعار وكأنَّهما أشهر أوصافها ،وقد أعان على ذلك وقوع الاستحضار موقع الجواب وكأنه لا جواب إلا بما أجاب به الشاعر وهو قوله (تلك مجاشع) ووقوعه كذلك بعد الشَّرط الذي يشي بارتباط فعل الشرط بجزائه وأنَّ جواب الشرط حاضر لحضور فعله ،وفي هذا من المبالغة في هجاء القوم وتنفير الناس منهم ما لا يخفي ،ثمَّ انظر إلى قول جرير في صدر البيت :(إذا قيل) وكيف أنَّه جاء مطلقًا لم يقيِّده بزمن أو مكان ففي أي زمان ومكان أُستُفهِم عن أشرّ النَّاس كان الجواب هذه القبيلة (مجاشع) ،وفي مجيء الفعل في السؤال والجواب مبنيًا لما لم يُسمَّ فاعله (قيل) إشارة إلى أن أصحاب السؤال والجواب كثيرون ،ومن ثمَّ لم يُنسب فعل القول لواحد في السؤال

(١) البيت من الطويل ، ديوان جرير ٢ / ٩٢٥

والجواب ، وربما يكون بناء الفعل لما لم يُسمَّ فاعله ؛لأنَّه لم يتعلَّق بتعيين القائل غرض .

والمتأمِّل لموقع البيت من القصيدة يجد أنَّ البيت موضع الشاهد قد وقع في خاتمة القصيدة عند البيت الخامس والستين ،والقصيدة عدتها سبعون بيتا وفي الختام يكون الشاعر قد استجمع قواه وملك ناصية القول ،حيث أزعم أن الشاعر أراد هنا أن يجمع هجاءه في كلمة واحدة فكان هذا البيت موضع الشاهد أودعه ما فصل ذكره في ثنايا القصيدة ،فجميع ما قاله الشاعر في بني مجاشع يجمعه هذا البيت ،من مثل قوله فيهم :

إذا أسْفَرَتْ يَوْماً نِسَاءُ مُجاشِعٍ ∴ بَدَتْ سَوْءةٌ مِمّا تُجِنّ البَرَاقِعُ

مَنَاخِرُ شَانَتْهَا القُيُونُ كأنّها ∴ أنوفُ خنازيرِ السوادِ القوابعِ

مَباشِيمُ عَنْ غِبّ الخَزِيزِ كأنّمَا ∴ تصوتُ في أعفاجهنَّ الضفادعِ

وقوله :

يقبحُ جبريلٌ وجوهَ مجاشعٍ ∴ وَتَنْعَى الحَوَارِي النّجُومُ الطّوَالِعُ

ولا سيَّما أنَّ الخاتمة آخر ما يبقى في النفس ،لذا يحسن في معانيها أن تكون مُكثَّفة ،وفيها تركيز وإيجاز ،فلمكانة الاستحضار عند الشاعر بما له من طاقة هائلة على المبالغة حينا وعلى تصوير الغائب البعيد في صورة الحاضر المشاهد حينا ، وعلى تكثيف المعاني وتركيزها حينا آخر جعله الشاعر آخر القصيدة .

هذا ،وفي قوله تعالى : ﴿ [illegible] ﴾

تجد أنَّ لاستحضار المشار إليه الادِّعائي ،وهو الجنة عند قوله تعالى :

غرض رئيس عناه النظم الكريم وهو إبراز عظم الجزاء وكماله ،ثمَّ إنَّ معاينة الجنة فيها من تأنيس نفوس أهل الإيمان والعمل الصالح التائبين من المعصية ما لا يخفي وفيه كذلك من تحفيز أهل الإيمان إلى الجد في الطاعة طمعا في المثوبة ،فإنَّه إذا قال أحد الناس لأحد عماله افعل كذا ولك كذا ،وأطلعه عليه ،كان ذلك دافعا قويا إلى إنجازه حبذا وأنَّ الفئة الموعودة بهذا الجزاء فئة خاصة سبق لها أن تجاوزت حدود ربها ،فسبحان مَن علم بمَ يكون صلاح النفوس البشرية ولاسيما وأنَّ استحضار المشار إليه كان استئنافيا سبقه الخبر المبرز لنوع الجزاء مفصَّلا عند قوله :

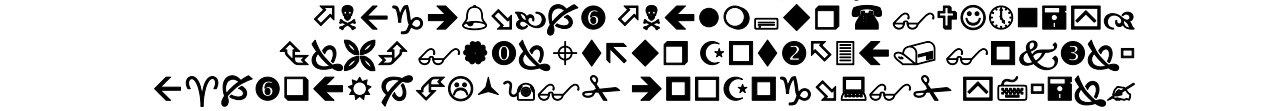

(١) سورة مريم : الآيات من ٥٩ ـ ٦٣

ثمَّ انظر إلى بديع النَّظم الكريم في تعريف هؤلاء القوم باسم الإشارة خاصَّة عنـــد قولـــه تعـــالى : ﴿ ﴾ فقد "جيء في جانبهم باسم الإشارة إشادة بهم وتنبيها لهم للترغيب في توبتهم من الكفر ،وجيء بالمضارع الدال على الحال للإشارة إلى أنهم لا يمطلون في الجزاء " [1] ،وهذا من كمال الجزاء وتمامه .

وفي استحضار المشار إليه في قوله : ﴿ ﴾ بعد ذكر العمل الذي أوجب الثواب وهو الذي حكاه النظم الكريم عند قوله :﴿ ﴾ إبـــراز وتوضـــيح لهيئة العمل الذي استحقوا من أجله هذا العطاء الكبير ،وكأنَّ العمل الذي قاموا به وهو التوبة والإيمان والعمل الصالح مشاهد محسوس يراه الناظر ،وفيه أيضًا تلويح بعلوّ شأنهم ،ورفع درجتهم واستحقاق العمل للجزاء ،فحيث جاء الجزاء موفورا كان العمل تاما .

فاستحضار صفة صاحب الجزاء ،ثم استحضار الجزاء بعده ،كما ترى عن طريق اسم الإشارة كان لهما موقعا من البيان حسنا عناه النظم الكريم ،حيث أفاد الاستحضار الأول تعيين أصحاب الجزاء ،وتمييزهم عن غيرهم من آحاد الناس وأفاد الاستحضار الثاني إبراز عظم الجزاء وتمامه ،كما سبق بيانه آنفا ،مع المبالغة في كلٍ .

---

(١) التحرير والتنوير ١٦ / ١٣٦

وفـــــــي قولـــــــه تعـــــــالى : ﴿ ﴾
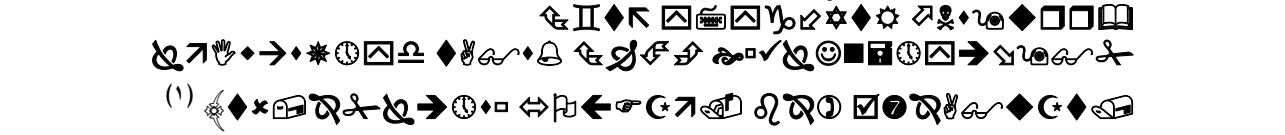
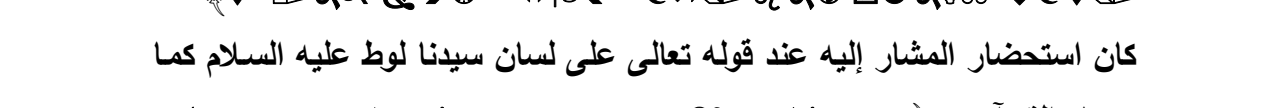

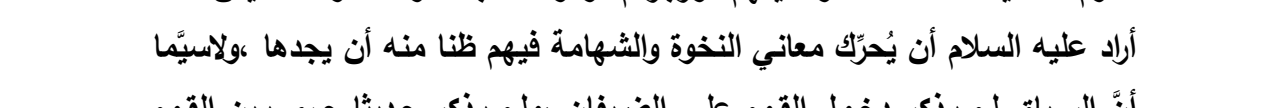
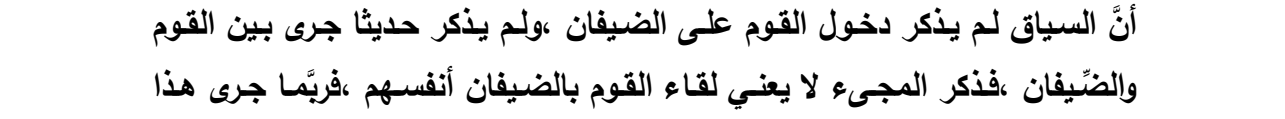
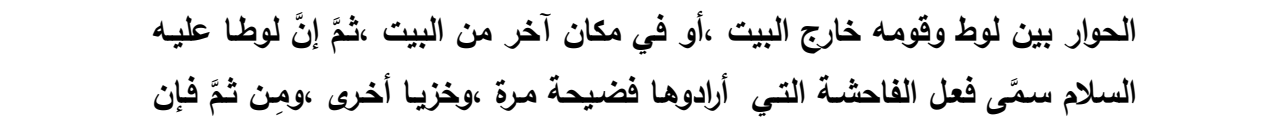
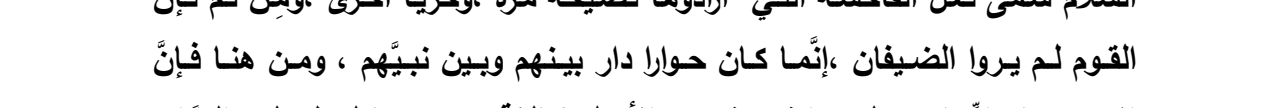
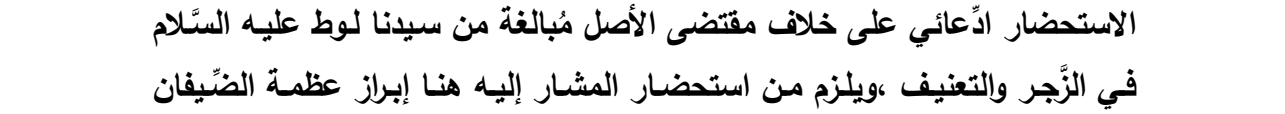
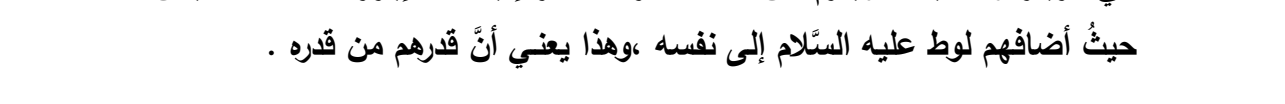

﴾ (١)

كان استحضار المشار إليه عند قوله تعالى على لسان سيدنا لوط عليه السلام كما حكـاه القـرآن : ﴿

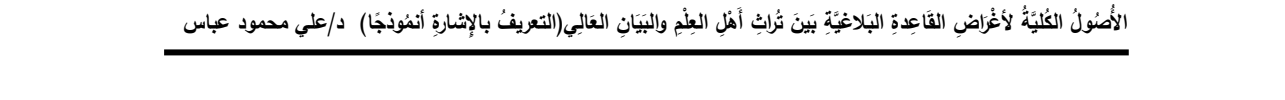

﴾ ادعائيا الغرض منه تبشيع طلب القوم الأضياف للفاحشة ،وتعنيفهم ،وزجرهم ،وهو خطاب للعواطف والأحاسيس ،فقد أراد عليه السلام أن يُحرِّك معاني النخوة والشهامة فيهم ظنا منه أن يجدها ،ولاسيَّما أنَّ السياق لم يذكر دخول القوم على الضيفان ،ولم يذكر حديثا جرى بين القوم والضِّيفان ،فذكر المجيء لا يعني لقاء القوم بالضيفان أنفسهم ،فربَّما جرى هذا الحوار بين لوط وقومه خارج البيت ،أو في مكان آخر من البيت ،ثمَّ إنَّ لوطا عليه السلام سمَّى فعل الفاحشة التي أرادوها فضيحة مرة ،وخزيا أخرى ،ومِن ثمَّ فإن القوم لم يروا الضيفان ،إنَّما كان حوارا دار بينهم وبين نبيَّهم ، ومن هنا فإنَّ الاستحضار ادِّعائي على خلاف مقتضى الأصل مُبالغة من سيدنا لوط عليه السَّلام في الزَّجر والتعنيف ،ويلزم من استحضار المشار إليه هنا إبراز عظمة الضِّيفان حيثُ أضافهم لوط عليه السَّلام إلى نفسه ،وهذا يعني أنَّ قدرهم من قدره .

(١) سورة الحجر : الآيات من ٦٧ ـ ٧١

هذا ،ولا شك أنَّ تأكيد الخبر قد تآذر مع الاستحضار في إبراز اعتناء لوط عليه السلام بالضيفان فـ "التأكيد ليس لإنكارهم بذلك ،بل لتحقيق اتِّصافهم به وإظهار اعتنائه بشأنهم وتشمّره لمراعاة حقوقهم ،وحمايتهم من السُّوء " (١)

هـــذا ،وفـــي إيثـــار التعبيـــر بالإشـــارة ﴿ ◻♌♑◑ ✌✍⬧🕭 ... ﴾ اللازم عنها الاستحضار يظهر أدب النبوة الجمّ وخلقها الرفيع ،فإنَّ لوطًا عليه السَّلام لم يعنِّفهم بعبارات نابية وكلمات قاسية ،إنَّما هو في الحقيقة خاطب مشاعرهم ،وأراد أن يدغدغ أحاسيسهم المتحجِّرة ،رغبة منه في كسر عزمهم الخبيث الذي اعتادوا عليه وهو إتيان الرجال من دون النساء ،فميل النَّظم القرآني الحكيم إلى هذه الطريقة درس تربوي مهم في معالجة خبث الطباع المعوجة .

وفـــي قولـــــه تعـــــالى : ﴿ ... ﴾ كان الاستحضار أيضا ادِّعائيا وكان الغرض منه المُبالغة في الإنكار لما أراده القوم مع ضيفانه ،ولفتهم ،وتنبيههم إلى ما تدعو له الفطرة المستقيمة ،وفي هذا من الزَّجر والتبكيت والتعنيف ما لا يخفي ،فاستحضار المشار إليه وهو بنات لوط عليه السلام كان هو الأنسب للسياق ،حيثُ إنَّ سياق الآيات الكريمة قد حكى تبجُّح القوم وتسفُّلهم إلى غير غاية ،فحين أراد عليه السلام أن يحرك معاني النخوة والشهامة فيهم ظنا منه أن يجدها مشيرا إلى أنهم ضيفانه وعليهم أن يتقوا الله ولا يفضحوه ،فـ "بدلا من أن يثير هذا في نفوسهم رواسب المروءة والحياة ، إذا هم يتبجَّحون

(١) تفسير أبي السعود ٥ / ٨٥

فيؤنِّبون لوطا على استضافة أحد من الرجال ،كأنَّما هو الجاني الذي هيَّأ لهم أسباب الجريمة ،ودفعهم إليها ،وهم لا يملكون له دفاعا !

" [1] .

وهذا يستدعي المُبالغة في الزَّجر ،والتعنيف والتنبيه إلى الصَّحيح من العادات ،وهذا ما أكَّده الاستحضار .

(١) في ظلال القرآن لسيد قطب ٤ / ٢١٤٩

هذا ، ومِمَّا تنبغي الإشارة إليه هنا والتأكيد عليه أنّ سيدنا لوطا عليه السَّلام لم "يعرض بناته على هؤلاء الفجار ليأخذوهن سفاحا ،إنَّما هو يلوِّح لهم بالطريق المستقيم الذي ترضاه الفطرة السليمة ،لينبِّه فيهم هذه الفطرة ،وهو يعلم أنَّهم إنْ ثابوا إليها ، فلن يطلبوا النِّساء سِفاحا ،فهو مجرد هتاف للفطرة السليمة في نفوسهم لعلَّها تستيقظ على هذا العرض الذي هم عنه معرضون " [1]

ويبدو حرص سيدنا لوط عليه السَّلام الشديد على قومه أن يطلبوا ما أحلَّ الله لهم وما ترضاه الفطرة المستقيمة ،وهو إتيان النِّساء لا الرِّجال من خلال التأمُّل الواعي والتدبُّر العميق لقوله تعالى في تذييل الآية الكريمة : ﴿ ﴾ ،حيث إنَّ هذا القولُ الوارد على لسان سيدنا لوط عليه السَّلام كما حكاه القرآن فيه مِن الإلهاب والحثّ لهؤلاء القوم الذين أَبَت نفوسهم إلا ابتغاء ما حرم الله والبعد عما رغَّبت فيه فطرة الله التي فطر الناس عليها ،كمَا تقولُ لمَن ينوي فعل شيء وهو يُقدِّم رِجلاً ويُؤخِّر أُخرى : اعزم على كذا إنْ كنتَ عازماً فالإلهاب الذي صوَّره الشرط مع الاستحضار الذي صوَّره التعبير بالإشارة وظفَّهما النَّظم الكريم أدقّ توظيف ،وكان لهما مِن البيان موقعا حسنا في لفت هؤلاء القوم إلى ما ينبغي أن يلتفتوا إليه ،وهو قضاء الوَطَر من خلال المنفذ السَّليم الذي دعت له الرِّسالات السَّماوية على اختلافها ،والفطر المستقيمة على اختلاف أزمانها . وفي قوله تعالى : ﴿ ﴾

(١) في ظلال القرآن لسيد قطب ٤ / ٢١٥٠

﴿ ﴾ (١)

تجد أنَّ قول المنافقين والذين في قلوبهم مرض ﴿ ﴾ فيه استحضار ادِّعائي للمشار إليه وهم أهل الإيمان الذين شهدوا بدرا ،كان الغرض منه المبالغة في تبكيت القوم وازدرائهم واحتقارهم ،وفي الإشارة هنا تلمس كمال تمييز أهل الإيمان عند المنافقين ،وكأنَّهم معروفون عندهم بوسم الاغترار في دينهم والثقة المطلقة فيه ،وهذا في حقيقته مدح في ثوب ذم ،لا يخطئون هؤلاء ألبتة في معرفتهم ،وفي هذا من التقبيح والتحقير ما فيه .

يقول البقاعي مشيرا إلى أنَّ الاستحضار هنا ادِّعائي :" ليس في الكلام ما يقتضي أن يكون القائلون : ﴿ ﴾ حضروا بدراً ،بل الظاهر أنَّ قائليه كانوا بالمدينة ،وتعبيرهم بـ (هؤلاء) التي هي أداة القرب للتحقير واستسهال أخذهم ،كما أنَّ أداة البُعد تستعمل للتعظيم ببُعد الرُّتبة ،وعلى مثل هذا يتنزَّل قول فرعون بعد أنْ سار

---

(١) سورة الأنفال : آية ٤٩

قال الرازي : " أما المنافقون فهم قوم من الأوس والخزرج ،وأما الذين في قلوبهم مرض فهم قوم من قريش أسلموا وما قوي إسلامهم في قلوبهم ،ولم يهاجروا ،ثم إن قريشاً لما خرجوا لحرب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أولئك نخرج مع قومنا فإن كان محمد في كثرة خرجنا إليه ،وإن كان في قلة أقمنا في قومنا . قال محمد بن إسحق ثم قتل هؤلاء جميعاً مع المشركين يوم بدر وقوله (غَرَّ هَؤُلاء دِينُهُمْ) قال ابن عباس معناه : أنه خرج بثلثمائة وثلاثة عشر يقاتلون ألف رجل ،وما ذاك إلا أنهم اعتمدوا على دينهم وقيل المراد إن هؤلاء يسعون في قتل أنفسهم رجاء أن يجعلوا أحياء بعد الموت ويثابوا على هذا القتل " . تفسير الرازي ١٥ / ١٤١

بنو إسرائيل زماناً أقلُّه ليلة ،وبعض يوم ،كما حكاه الله عنهم : ﴿ [الشعراء : ٥٤] [1]

ثمَّ تراه يستطرد ذاكرا ما يخالف ما ذهب إليه ،وهو الوجه الآخر للمسألة : " على أنَّ البغوي قد نقل في تفسير قوله تعالى :﴿ [آل عمران : ١٣] أنَّ جماعة من اليهود حضروا قتال بدر لينظروا على من تكون الدائرة ،وإذا تأمَّلت هذا مع قوله تعالى ﴿ علمت أنَّ جلَّ المقصود مِن هذه الآيات إلى قوله : ﴿ اليهود ، وفي تعبيره بـ (لا يفقهون) تبكيت شديد لهم كما قال تعالى في آية الحشر :﴿ ﴾ (الحشر : ١٣) " [2]

وهذا يعني أنَّ الاستحضار هنا حقيقي ،وأنَّ القائل هم اليهود ،وهم شهود لبدر ينظرون القتال بأبصارهم ،وأنَّ القول الذي حكاه النَّظم عنهم : ﴿ وقع وقد أُستحضر المشار إليه

(١) نظم الدرر للبقاعي ٨ / ٣٠١

(٢) السابق ٨ / ٣٠٢

حِسًّا ،ولا ضير في ذلك ،فهذا شاهد على ثراء النَّظم الكريم وفيضه الغامر ،والنِّكات البلاغية لا تتزاحم .

هذا ،ومن بديع النظم الكريم في هذه الآية الكريمة التعبير بالفعل في زمن المضـــارع ﴿ [illegible] ﴾ لتستحضر بنفسك صورة المنافقين حينئذ حسًّا ،وتكاد تسمع بأذنك قولهم ،وكأنَّ الأحداث حيَّة ،يُمكن للقارئ أن يشاهدها بعينيه ،وما ذلك إلا لأنَّ هذا القول يتجدَّد بتجدُّد الأزمان ويتعاقب بتعاقب الدهور ،ففي كلّ زمان ومكان ترى أهل النِّفاق يسخرون من ثقة أهل الإيمان بموعود ربِّهم الذي لا يخلف أبدا وعده .

وفي قوله تعالى : ﴿ [illegible] ﴾ استحضار المشار إليه وهم أتباع موسى عليه السلام ادعائيا ،وكانت " الإشارة بهؤلاء إلى حاضر في أذهان الناس ؛لأن أمر بني إسرائيل قد شاع في أقطار مصر في تلك المدة التي بين جمع السحرة وبين خروج بني إسرائيل " [1]

ثمَّ إنَّ البقاعي قد ذكر أنَّ فرعون استحضر ذكر المشار إليه " بعد أنْ سار بنو إسرائيل زماناً أقلُّه ليلة ،وبعض يوم "[2] حيثُ إنَّه " لمَّا ظهر أمر موسى عليه

(١) التحرير والتنوير ١٩ / ١٣٠

(٢) نظم الدرر للبقاعي ٨ / ٣٠١

السلام بما شاهدوه من الآية ،أمره الله تعالى بأن يخرج ببني إسرائيل لما كان في المعلوم من تدبير الله تعالى في موسى وتخليصه من القوم وتمليكه بلادهم وأموالهم ،ولم يأمن وقد جرت تلك الغلبة الظاهرة أن يقع من فرعون ببني إسرائيل ما يؤدي إلى الاستئصال ،فلذلك أمره الله تعالى أن يسري ببني إسرائيل وهم الذين آمنوا وكانوا من قوم موسى ،ولا شبهة أن في الكلام حذفاً وهو أنه أسرى بهم كما أمره الله تعالى ،ثم إن قوم موسى عليه السلام قالوا لقوم فرعون إن لنا في هذه الليلة عيداً ،ثم استعاروا منهم حليهم وحللهم بهذا السبب ،ثم خرجوا بتلك الأموال في الليل إلى جانب البحر ،فلما سمع ذلك فرعون أرسل في المدائن حاشرين " [1] فقول فرعون كان بعد خروج موسى عليه السلام وأتباعه وسياق الآيات كما ترى ناطق بذلك ،فقد قدم النظم الكريم ذكر الوحي إلى موسى بالسير هو وأتباعه

﴿ ✂🚫🖂🚤❑↖✎ 🗐❼■🖫🔀❶ 🖋🛩◆☪↘⓿🖂○↙❐❐🕮◆❐﴾
🖃↗▤✸☼🔀❶ ✓❽🔍⓾🛩♦🎖🔍➔🔀🖃 🔀❸⇔·❐🕮 ↙🔍❐🕮
✎⓾☛✸⌨◆➔↖❑🔍♦﴿ وأتبعه بقصّ رد فعل فرعون ،وذكر جزءا من خطابه

في أشياعه ،وذلك عند قوله : ﴿ ❼🔀✖ ↖🔍↗❑◆↖↗❷🔍▫ •✍🖂🚤↗❻❐🚹♦▫﴾

🚶🔀🔀🖃 ◆✖⇦🔀❸🚶⌑🕛🖂○ 🖃✖🖃🡻🖋✂🖂⑨🖂☺↘🐵🛩✂
◅❑◆✎🔍❶↙❸🚶⌑♦🐵 🔍↗✋♦➔♦✸🕛🖂♎ □🔍🔀❶
🛩◆☪♦🐵 ↗☠↙🖒□✖🔀❶◆❐ 🚶🔀🖃🖃 ◆🔍❑➔🖬⓿🔀🖬♦🔔
🛩✸☼🔀❶◆❐ 🚶🔀🔀🖃 ◆🔍❑❶➔🖃✶🖋🛩◆⇔♦🐵

🖳🔍❑🐃○⓿🕛🖂○ ↗↗⓿🔍☺❑🐃○💻﴾ ، وقد كان الغرض من استحضار المشار إليه وهم أتباع موسى عليه السلام ،تحقيرهم في أعين أتباعه ولاسيَّما قد أعدوا العدة لقتالهم قبل فرارهم ،وهذا حسن في مقام القتال ؛إذ إن من حسن السياسة القتالية أن يخبر القائد جنوده بأنَّ أعداءه خائرون قليلو العدد

(١) تفسير الرازي ٢٤ / ١١٨

والعدة ،ثم يذكرهم بأفعالهم المنكرة ،كما فعل فرعون ،حتَّى يكون ذلك دافعا للخروج ،وحتَّى لا يتسرب الخوف إلى قلوب جنوده فيولّوا مدبرين .

فاستحضار المشار إليه هنا دعا إليه السِّياق ،وحضَّ عليه ،ووظَّفه النظم الكريم أدقّ توظيف على لسان فرعون ،وذلك في تحفيز أتباعه على قتال موسى عليه السلام ومن معه ،حيث استحضر فرعون أمام القوم قلَّتهم وانحصارهم وكأنَّ لفرعون قمرا صناعيا خاصًّا ينقل له ولأتباعه ما غاب عنه ،فإنَّ استحضار المشار إليه هنا كما حكاه النظم الكريم كان بديلا عن جميع أجهزة الرَّصد والاستطلاع الحديثة في عصرنا هذا ،وكيف لا وقد شاهد فرعون صورا حيَّة لعدوه ؟ وعرف كلّ ما يريده القائد الحربي عن عدوه قبل النزال .

إنَّ للقرآن الكريم عبقريةً لا توصف في استحضار الصور والأحداث ،يصل الماضي دائما بالحاضر ،وينقل الماضي بشخوصه وأحداثه بين يديك ،فيأخذك حينًا لتشهد وتشاهد آثار القرون الأولى ،وأحداث الأمم الماضية بُغية الموعظة والذِّكرى ،وصـــــــدق الله إذ يقـــــــول : ﴿ ❼⚫︎ ... ❼ (يوســـف : ١١١) ،فقـــد كـــان الاستحضار أحد الوسائل التي وظَّفها النَّظم الكريم لنقل الصُّور الغائبة حتَّى تصبح قريبة محسوسة ، والله تعالى أعلم .

الخاتمـة

الحمد لله الذي علَّم بالقلم ،علَّم الإنسان ما لم يعلم ،والصَّلاة والسَّلام على سيِّد العرب والعجم وعلى آله وأصحابه شُمُوس الظَّلام ،والتابعين لهم بإحسان واشملنا برحمتك معهم يا رحمن يا رحيم ،وبعد :

لقد كشفَ البحثُ في موضوع : (الأصول الكلية لأغراض القاعدة البلاغية بين تراث أهل العلم والبيان العالي . التعريف بالإشارة نموذجا) عن نتائجَ مهمَّة أذكر مِنها :

أولاً : دراسة الأصول الكلية للقواعد بصفة عامَّة بلاغية كانت ،أو فقهية ،أوغيرهما ،من الأهمية بمكان لطالب العلم ؛ذلك لأنَّها تقف به على الجذر الذي نبت به وعليه الفرع ،ومِن هنا يقف الناهل للعلوم على فوائد جمَّة أهمها : معرفة مناسبة الأصل مع الغرض والقاعدة الجزئية ،وكيف نشأ التلاقي بينهما .

ثانياً : لدراسة الأصول الكلية للقواعد البلاغية أصل تليد ،فقد فتح شيخ البلاغيين الإمام عبد القاهر الجرجاني . رحمه الله . باب درس الأصول الكلية لأغراض القواعد البلاغية حين ذكر أنَّ أغراض التقديم ترجع إلى أصل واحد هو العناية والاهتمام .

ثالثاً: الاستحضار يشتمل على طاقة هائلة تمكِّن صاحب البيان من تصوير الغائب البعيد في صورة الحاضر المشاهد ،كما أنَّ في الاستحضار طاقة هائلة من المُبالغة أيًّا كان الغرض من الاستحضار التعظيم ،أو التهكُّم ،أو غير ذلك ،إلى غير ذلك مِن المعاني البلاغية البديعة والإشارات البيانية اللطيفة التي يصحبها الاستحضار مع كلِّ غرض على حدة ،وهي بلا شكّ وفيرة ،يتلمَّسها صاحب كلّ ذي بيان في بيانه .

رابعًا : ممَّا لا شكَّ فيه أنَّ الاستحضار كأصل كلي يتلاءم مع أغراض التعريف بالإشارة جميعها ،لكن يختلف مع كلّ غرض وجه التناسب بينهما ،وقد بدا واضحا

من خلال الدراسة التطبيقية ، فمثلا عندما يكون الغرض مِن التعريف بالاشارة التعظيم مثلا ،فإنَّ الاستحضار يتناسب مع التعظيم في كونه يُبرز المشار إليه وكأنَّه بلغ الغاية في العظمة ،ووصل إلى حدّ الكمال والرفعة ،ثمَّ إنَّه يظهره وقد ملأ العين حسنا وكمالا وجمالا ،وفي استحضار التعظيم ما يشبه دعوى الشيء ببينة ،وكأنَّ المتحدث يعرض البرهان لما يدَّعيه ،ففي الاستحضار يَبرز صدق المتحدِّث ؛لأنَّ ما يدعيه يطابق الواقع ،ولا يخالفه في شيء ،حيث ترى المشار إليه شاخصًا ماثلا يتراءى بين يديك .

خامسًا : الكثير من أمثلة التعريف بالإشارة كان الاستحضار فيها خارجا على خلاف مقتضى الأصل ؛لأنَّ المُشار إليه في الغالب غير موجود ،إنَّما يُستحضَر لبلاغة الاستحضار ذاته ناهيك عن ما في الاستحضار من لفتات بيانية ،وهي كثيرة ،تأتي مقترنة به ،ويتدبَّرها صاحب كلّ ذي بيان ،وكأنَّ لكلّ شاهد على حِدة دقائقه ورقائقه .

سادسًا : إنَّ للقرآن الكريم عبقرية لا توصف في استحضار الصور والأحداث يصل الماضي دائما بالحاضر ،وينقل الماضي بشخوصه وأحداثه بين يديك فيأخذك حينًا لتشهد وتشاهد آثار القرون الأولى ،وأحداث الأمم الماضية بُغية الموعظة والذِّكرى ،فقد كان الاستحضار أحد الوسائل التي وظَّفها النَّظم الكريم لنقل الصُّور الغائبة حتَّى تصبح قريبة محسوسة .

هذا ،وقد خرجت أمثلة البيان العالي للتعريف بالإشارة موضع الدراسة في طريقين متقابلين ،حيث جرى التطبيق على إمكان وقوع الاستحضار على سبيل الحقيقة وجرى أيضا التطبيق على عدة شواهد يكون الاستحضار فيها خارجا على سبيل الادِّعاء والتنزيل منزلة الحقيقة .

وهذا الذي ذكرنا في هذه الصَّفحات اليسيرة ما هو إلا فاتحة وعلامة على الطَّريق وعليك أخي القارئ الكريم مهمّة لا تقل مؤونة عن تلكَ التي وضعناها على عاتقِنا ،وهي مهمة تتبُّع شواهد أخرى للتعريف بالإشارة من فصيح الكلام مُحاولا ردّها إلى الأصل الذي أشارت إليه هذه الدِّراسة في صَدرها ، رحمَ اللهُ الباقلاني القائلَ : " فاحفَظ عنَّا في الجُملة ما كرَّرنا والسَّير بعد ذلك في التفصيل إليك ،وحصِّل ما أعطيناك من العلامة ثمَّ النَّظر عليك " (١)

هذا ،وتوصي هذه الدِّراسة بفتح هذا الباب على مصراعيه ولاسيَّما أنَّه باب طالت شكواه علَّه يجد من يبعث فيه الحياة والحس من جديد ؛ذلك لأنَّ أغراض القواعد البلاغية قد تشعبت وتناثرت في بُطُون الكُتب ،وهو بابٌ ينطوي على كبير فائدة ،والدِّراسة فيه فاتحة لآفاق جديدة ـ بإذن الله تعالى ـ للدرس البلاغي .

فما سبق محاولة أزعم أنَّها جادة ، حاولتْ أن تجد أصلا كليا لأغراض التعريف بالإشارة وقد اهتديت فيها بمشكاة الإمام عبد القاهر الجرجاني الذي فتق أكمام هذا الأمر ، وأدعو الباحثين أن ينسجوا على هذا المنوال المتواضع .

وفي الختام أستحضر قول عبد القاهر ـ رحمَهُ الله ـ في الدلائل : " وإنك لَتُتْعِبُ في الشيء نفسَكَ وتكدُّ فيه فكرَكَ وتجهد فيه كلَّ جَهدك حتى إذا قلتَ قد قَتَلْتُه علماً وأحكمتُه فهماً كنتَ الذي لا يزالُ يتراءى لك فيه شُبهةٌ ويعرِضُ فيه شكٌّ " (٢) ولكن كما قال حافظ إبراهيم :

إذا قيسَ إحسانُ اِمرِئٍ بِإساءَةٍ ∴ فَأَربى عَلَيها فَالإساءَةُ تُغفَرُ

(١) إعجاز القرآن ١ / ٢٠٥

(٢) دلائل الإعجاز ١ / ٣٩٨

فهذا جهدي ،وهو جهد المقل ،وحسبي فيما اجتهدت حسن النية ،إن فاتني حُسن العمل وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ،والحمد لله رب العالمين .

فهرس المصادر والمراجع

بعد القرآن الكريم

١. إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم لأبي السعود . ط : دار إحياء التراث العربي – بيروت .

٢. الأعلام لخير الدين الزركلي . ط : دار العلم للملايين . ط : خامسة عشرة .

٢٠٠٢ م.
٣. آل حم غافر فصلت . دراسة في أسرار البيان . للدكتور محمد محمد أبو موسى . ط : مكتبة وهبة . القاهرة . ط : أولى . ١٤٣٠ هـ . ٢٠٠٩ م .
٤. البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها وصور من تطبيقاتها بهيكل جديد من طريف وتليد ، للدكتورعبد الرحمن حسن حَبَنَّكة الميداني . ط : دار القلم . دمشق . ط : أولى . ١٤١٦ هـ . ١٩٩٦ م
٥. التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور . ط : دار سحنون . تونس . ١٩٩٧ م .
٦. التسهيل لعلوم التنزيل لمحمد بن أحمد الغرناطي الكلبي . ط : دار الكتاب العربي . لبنان . ط : رابعة . ١٤٠٣هـ . ١٩٨٣م .
٧. تفسير القُرطبي المسمَّى الجامع لأحكام القرآن . ط : دار الشعب . القاهرة . د ت .
٨. التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب للرازي . ط : دار الكتب العلمية . بيروت . ط : أولى . ١٤٢١ هـ . ٢٠٠٠ م
٩. التفسير الوسيط للقرآن الكريم . د محمد سيد طنطاوي . ط : الرسالة . القاهرة . ط : ثانية . ١٤٠٦ هـ . ١٩٨٦ م .
١٠. الجامع الصحيح المختصر للبخاري . تح : د مصطفي ديب البغا . ط : دار ابن كثير . اليمامة . بيروت . ط : ثالثة . ١٤٠٧ هـ . ١٩٨٧م
١١ـ حَاشِيةُ الشِّهَابِ عَلَى تفْسيرِ البَيضَاوِي الْمُسَمَّاة : عِنَايةُ القَاضِي وكِفَايةُ الرَّاضِي عَلَى تفْسيرِ البَيضَاوي لشهاب الدين الخفاجي . ط : دار صادر . بيروت .
١٢ـ حجة القراءات لعبد الرحمن بن محمد بن زنجلة أبو زرعة . تح : سعيد الأفغاني . ط : مؤسسة الرسالة – بيروت . ط : ثانية . ١٤٠٢ هـ . ١٩٨٢ م .
١٣ـ الخصائص لابن جني . تح : محمد على النجار . ط : عالم الكتب . بيروت .

دت .

١٤. دلائل الإعجاز في علم المعاني للإمام عبد القاهر الجرجاني . تعليق : محمد رشيد رضا . ط : المكتبة التوفيقية . القاهرة .

١٥. ديوان الراعي النميري . تح : راينهَرت فَاييَرت . ط : فرانتس شتاينر بفيسبادن . المعهد العالي للأبحاث الشرقية . بيروت . ١٤٠١ هـ . ١٩٨٠ م .

١٦. ديوان الفرزدق . شرح وتقديم : علي قاعود . ط : دار الكتب العلمية . بيروت . ط : أولى . ١٤٠٧ هـ . ١٩٨٧ م .

١٧. ديوان امرئ القيس . شرح عبد الرحمن المصطاوي . ط : دار المعرفة . بيروت . ط : ثانية . ١٤٢٥ هـ . ٢٠٠٤ م .

١٨. ديوان جرير بشرح محمد بن حبيب . تح : د نعمان محمد أمين طه . ط : دار المعارف . القاهرة ط : ثالثة . د ت .

١٩. ديوان عمر بن أبي ربيعة . ط : دار القلم . بيروت . من دون تاريخ .

٢٠. ديوان عنترة ط : المكتبة الجامعة . خليل الخوري . بيروت . ١٨٩٣م.

٢١. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني للألوسي . ط : دار إحياء التراث العربي – بيروت .

٢٢. طريق الوصول إلى العلم المأمول بمعرفة القواعد والضوابط والأصول . مختارات من كتب شيخ الإسلام ابن تيمية والعلامة ابن القيم . جمع : عبد الرحمن بن ناصر السعدي . ط : دار البصيرة . الإسكندرية . د ت .

٢٣. في ظلال القرآن لسيد قطب . ط : دار الشروق . القاهرة . د ت .

٢٤. القوس العذراء وقراءة التراث د محمد أبو موسى . ط : مكتبة وهبة . ط : أولى . ١٤٠٣ هـ . ١٩٨٣ م .

٢٥. الكامل لمحمد بن يزيد المبرد . تح : د/ محمد أحمد الدالي . ط : مؤسسة

الرسالة . ط : ثانية . ١٤١٢هـ . ١٩٩٢م .
٢٦. الكتاب لسيبويه . تح : عبد السلام محمد هارون . ط : دار الجيل . بيروت . ط : أولى . د ت .
٢٧. لباب النقول في أسباب النزول للسيوطي . ط : دار إحياء العلوم . بيروت.
٢٨. لسان العرب لابن منظور . ط : دار صادر . بيروت . ط : أولى . دت .
٢٩. مجموع الفتاوى لابن تيمية . تح : عبد الرحمن بن محمد النجدي . ط : مكتبة ابن تيمية . ط : ثانية . د ت .
٣٠. مراجعات في أصول الدرس البلاغي د محمد محمد أبو موسى . ط : مكتبة وهبة . ط : أولى . ١٤٢٦ هـ . ٢٠٠٥ م .
٣١. معاني القرآن وإعرابه للزجاج . شرح وتحقيق : د عبد الجليل عبده شلبي . ط : عالم الكتب . بيروت . ط : أولى . ١٤٠٨ هـ . ١٩٨٨ م .

٣٢. معاهد التنصيص على شواهد التلخيص لعبد الرحيم العباسي . تح : محمد محيي الدين عبد الحميد . ط : عالم الكتب . بيروت . ١٣٦٧ هـ . ١٩٤٧م .
٣٣. مفتاح العلوم للسكاكى . تح : عبد الحميد هنداوي . ط : دار المكتبة العلمية . بيروت . ط : أولى . ١٤٢٠ هـ . ٢٠٠٠ م .
٣٤. المنثور في القواعد . تأليف : أبو عبد الله محمد بن بهادر الزركشي . تح : د : تيسير فائق أحمد محمود . ط : وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية – الكويت . ط : ثانية . ١٤٠٥ هـ .
٣٥. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للإمام برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي . ط : دار الكتاب الإسلامي بالقاهرة . د ت .